

منتديات مكتبتنا

## ديانات أخرى

<http://www.makbtna2211.com/vb/index>

Ahmed Mady

ديانات أخرى

دار الشروق

دار الشروق

10  
Sept. 2010  
Alex.  
كلوب

أنيس منصور

# ديانات أخرى

دار الشروق



## كَلِمَة أَوَّلَى

.. لَعَلَّ الْإِنْسَانَ يَجِدُ نَفْسَهُ هُنَاكَ !

الناس نيام . فإذا ماتوا انتبهوا - حديث شريف .. فالناس لا يعرفون هذه الحقيقة إلا في مرحلة متأخرة من العمر . وإلا في لحظة باهرة ينكشف فيها الإنسان تماماً .. فما الذي يراه ؟ يرى أنه أمضى عمره كله يدور حول خوف . أو حول أمل ، أو حول طمع أو حول حب .. وأن هذا الذي يدور حوله ، قد سلبه القدرة على الرؤية . وعلى التمييز ... وأنه مسحوب من كل عواطفه إلى الأمام . وأن هذا الانسحاب قد جعله مأخوذاً دائماً .. وجعل طريقه صعباً وعالمه ضيقاً . وإذا أحس بالاختناق . فليس سبب ذلك عيباً في جسمه .. ولكنه هو الذي جعل الجدران قريبة . والسقف أقرب ، وراح يتنفس في هواء حبيس !!

أنظر إلى حياتك كل يوم .. أنظر ولو مرة واحدة .. هات ورقة وقلماً واكتب بالضبط ما الذي تفعله أو فعلته اليوم . لا تخجل إذا أغمضت عينيك وتركت القلم يكتب ثم وجدته يرسم ثوراً يدور في ساقية .. فليس عفريتاً هو الذي كتب لك . هذه هي الحقيقة . أنت تدور تدوخ تدوب تتلاشى أنت لا تدري ما الذي تفعله . ولكنك أعمى . أعميت نفسك .. وليس غيرك أحسن ولا أسوأ حالاً منك .

كلنا نيام . نمشي نياماً . نصحو نياماً . ونرى فيما يرى النائم أننا نفكر  
وندبر ونحكم ونتحكم .

وليس هذا تخريفاً أو انسياقاً وراء القلم . ولا وراء هذه الكلمات .  
ولكن هذه حقيقة عندما أدركتها بوضوح . أذهلتني وأخافتني . وملاّت  
باليأس قلبي . ولم أعد أعرف ما الذي أفعله أو الذي أقوله بعد اليوم .. فليس  
في العمر وقت طويل لكي أفكر وأراجع ما اتخذته من آراء وما اهديت  
إليه من حقائق وأنا أعلم أنه أفضل للإنسان أن يريح رأسه ويتوكل ..  
أن يربط أفكاره كمجموعة من الأغنام ويلفها حول رقبتة ويختار له  
شجرة وينام تحتها حتى يجيء الموت الذي هو النوم الأبدي .. وفي ذلك  
كفاية . فالعمر لا يتسع للتفكير في كل شيء . ولا أحد اتسع عمره  
لذلك . وإذا ظل الإنسان يفكر في كل شيء فإنه لن يجد طعاماً ولا  
شرباً ، وهو لن يجد الطعام والشراب لأنه لن يجد رأساً ولا قلباً ولا معدة  
وخير له أن يرضى بما اهتدى إليه . وأن يستريح ..

ولكن إذا اكتشف الإنسان أنه يدور حول شيء ..  
أو أن في داخله شيئاً يدور . وأنه ، وكل الناس دائرون حول رغباتهم  
وشهواتهم ومخاوفهم وعقائدهم .  
أو أنه لا شيء في هذه الدنيا .

أو أن العالم من حولنا لا يهتم كثيراً إن ضللنا أو اهتدينا .. وأنا  
هكذا اليوم وغداً وأمس : لا شيء .

وأن الذي يريحنا ويقلقنا ، لا يعني أحداً سوانا ، هان الإنسان  
على نفسه فانكسرت كبرياؤه وانكمش ظله ، وانحط على  
الأرض لا يحرك يداً ولا عيناً ولا يهز عقلاً . فلا عمل لمن لا أمل له .  
ولا معنى لمن لا قيمة له . ولا دنيا لمن لا دين له . ولذلك فإن الله يقول



للإنسان إنه يراه وإنه يراقبه . وأنه سوف يكون به رحيمًا إذا أخطأ .  
وسوف يفتح له خزائن الثواب وكنوز الرضا إذا أحسن إلى غيره وإلى  
نفسه وراعى الله الذي يرعاه ، ونصر الله الذي ينصره .. هذا الحوار  
بينه وبين ربه ، هو الذي يجعل طريقه الطويل قصيراً ، وعذابه العميق  
هيناً ، وضياعه هداية ، وحيرته يقيناً !

ولا أقول إنني اهتديت إلى كل شيء .. فأين هو الوقت . وأين هو  
الصفاء . وأين هي لحظات التركيز والإحساس المباشر بكل القيم العليا  
في الحياة .

كيف أبلغ ذلك والحياة ضوضاء وأرق وقلق وخوف وهوان  
وعذاب ويأس واضطراب وزحام في الذهاب والإياب ، عند  
الحياة وعند الموت .. كيف أرفع رأسي إلى أعلى وقد اعتدت على  
أن أحنيه لأرى مواطن القدمين وأمسك ما في اليدين ، وأحمي اليدين  
من أيدي الآخرين ، وأحمي رأسي من أقدام الطاغين الباغين الظالمين  
الجشعين .. أين يجد الإنسان الراحة وسط هذا الفرع الأكبر الذي هو  
حياتنا ، ومن يحرص على حياته يتعذب بها ، ومن لا يحرص على  
حياته يعذبه الآخرون ..

كيف ينظر الإنسان إلى نفسه ليعرف حقيقته وحقيقة هذا الكون  
والله وراء كل شيء .. كيف !

إن المسافة التي بينه وبين نفسه قد امتلأت بملايين الناس والأشياء .  
إنها لحظات قليلة عندما يجد الإنسان نفسه أمام نفسه ، وجهاً لوجه .  
إنها لحظات في نومه الهادئ . أو في مرضه الطويل . أو على فراشه  
الآخر ..

أو إذا ذهب إلى الأراضي المقدسة فما الذي تستطيعه في أرض

تغطت بقلوب لها أقدام حافية ، وصدور عارية ، وحناجر مدوية ،  
ورؤوس لامعة ، وعيون دامعة ، وألسنة لا يتعارف بعضها على بعض ..  
من الذي وسط الزحام : على المقعد والسرير والرغيف والماء والدواء  
والظل والدفء يستطيع أن يتأمل ماذا حدث له في حياته ، وما الذي  
سوف يحدث له ..

لم أكن أسعد الناس .. وإن كنت تمنيت ذلك الإيمان العظيم الذي  
وصفه الرسول عليه السلام بأنه (إيمان العجائز) . أين هذه البساطة ؟  
أين هذا الإحساس المباشر بالله ؟ أين هذا الإيمان الساحق الماحق الباتر  
الباهر لكل ما قرأت وتعلمت وعلمت ، وقلت وتقولت ، واجتهدت  
وأجهدت وأجهضت ، وفكرت وفجرت .. أين هذا الذي لا يذوقه  
الإنسان إلا مرة واحدة في العمر .. إلا لحظة من العمر كله !

ولا أبالغ كثيراً إذا قلت - والله أعلم - إن شيئاً من ذلك قد  
أحسست به .. ورأيت بوضوح .. كما يكشف لنا البرق شكل السحب  
وأحجام الجبال وظلال الأشجار .. ويرينا وجوهنا في عيون الآخرين .  
إن شيئاً من البرق ، إن شيئاً من الضوء ، قد قطع الظلام والظلال  
والضباب .. وإذا بي أرى نفسي .. ولا أقول رأيت بكل وضوح .  
ولكن رأيت الذي لم أره . ولم أعرفه . ولا أظن أنني كنت سأعرفه .  
لو لم أذهب إلى هناك عارياً حافياً طائفاً ساعياً منادياً .. وكنت أحسد  
الذين يدوسونني ويضربونني في ساقى وذراعى - كأنني لا وجود لي .  
إنني حسدتهم لأنهم لا يدرون بأحد . إنهم بعيدون عن أجسامهم وأجسام  
الآخرين .. أما أنا فلم أستطع إلا أن أرى الناس وإلا أن أشم سعيهم  
الطويل ، وأرى عريهم وأسمع لغاهم ، - إنني اذن لم أنشغل تماماً  
عن نفسي .. إنني اذن لم أستغرق في كل ما حولي .. إنني لم أكف عن



عادتي القديمة ، عن أسلوب الطويل في حياتي . إن وظائف جسمي لم  
تتعطل عن دورها اليومي ..

ولكن أشهد أنه حدث مرة واحدة ، أن أحداً قد شكّا من أنني قد  
صدمته .. ثم شغلّني سعادتي عن الاعتذار له - أخيراً انشغلت عن كل  
ما حولي ، واستغرقت وغرقت في الذي هو أسمى وأعلى وأبقى وأبهى  
وأجمل وأجل !

ويطمع كثيراً من يتمنى أن تعيده هذه الرحلة إلى الأراضي المقدسة  
إلى بطن أمه : جنيناً طاهراً بلا خطايا ، بلا إرادة للشر أو للخير ،  
الشر لغيره ، والخير كله له . ولكنها لحظات فقط يشعر فيها الإنسان  
أنه صغير وأنه تافه . وأنه أكثر تعقيداً من هذه البساطة التي حوله . وأنه  
أقل يقيناً من هذا الإيمان والبرهان الذي حوله . وأن الراحة كل الراحة ، في  
أن يعتدل فيما يرى ، وفيما يعقل ، وليس في الدنيا أصعب من  
الاعتدال ، ولذلك فالاعتدال هو أساس الأخلاق التي تريد كل  
الاديان أن تحققها على الأرض بين الناس ..

وكل شيء قبل ذلك وبعد ذلك : رمز إلى معنى كبير .. الطواف  
رمز . والكعبة نفسها قلب الإسلام وقلب الدين رمز .. والدعاء حولها  
رمز . فالله في كل مكان وليس حول الكعبة فقط .. والسعي بين الصفا  
والمروة سبعة أشواط رمز . والوقوف بعرفات ورمي الجمرات . والدعاء  
لله هو إعداد وتجهيز للجسم والنفس أن تكون أكثر تركيزاً أو أكثر  
صفاء وأشد اقتراباً من الله .. وكل شيء يرمز . وما من دين إلا وبه  
رموز إلى معان أكبر وأبقى . وحتى الذين لا يؤمنون بدين عندهم  
أيضاً رموز : زعماء وأبطال وتماثيل ومواقع ومعارك وكتب . وكلها  
رموز صغيرة لمعان أكبر . وهم حريصون على أن تكون أبقى !

ومن العجيب أن اتجاهاً متجدداً في الفكر الأوروبي يطالب بهدم كل الأديان ويقول : لا ماركس ولا المسيح .. ولا شعارات مقدسة ! وهذا الاتجاه الذي ينكر كل شعار يرفع شعاراً ويؤكد ويضعه على رقاب العباد هو : لا ماركس ولا المسيح ! حتى الذين لا يؤمنون بدين لهم دين جديد ، يريدون هدم كل الأديان . والذي يؤمن بماركس يكفر بمحمد والمسيح وبوذا وكونفوشيوس وزرادشت فهو يؤمن بدين جديد . والذي يكون ماركسياً مسيحياً هو يتآمر على محمد فهو يكفر بدين واحد ويؤمن باثنين من الأديان ! فكل إنسان له دين . هذه حقيقة تاريخية وفكرية ودينية أيضاً . وإذا حاول ألا يكون له دين ، فهذا دين جديد .

ولم يكن الفيلسوف الألماني نيتشه يتلاعب بالألفاظ عندما قال عبارته المشهورة : إنني أتقي من يكفر بالله - أي أنه أكثر الناس إيماناً بالكفر بالله !

فهو عندما رفض الدين اتخذ ديناً آخر . ولكنه دين يرفض ويهدم ولا يختار ولا يبني نفساً ولا نفوساً ولا يجمع شعوباً على خير الإنسان في كل مكان !

ولا أقول إنني تعبت في السعي والطواف ، ولا أقول إنني بحثت عن الطعام فلم أجد إلا الشراب ، أو فتشت عن الشراب فلم أجد إلا الطعام .. فقد بسر الله لي كل شيء . ويسر العلم الحديث : الطائرة والسيارة والشوارع المرصوفة والطعام والماء والأمن والعلاج . ولم يبق أمامنا إلا الرمز . وإلا أن نفكر في هذا الذي نفعله بسرعة ، وإلا أن نتأمل ما نرى بين الناس ألوانهم وأسمانهم ، وإلا ما نفعله نحن بين مكان ومكان .. وألا نغمض أعيننا ونلتفت لحظة واحدة إلى أنفسنا ..



ما الذي نفعله .. ما الذي نأكله .. ما الذي أتى بنا إلى هناك .. ما الذي بين الناس والناس ، بين الناس والشيطان ، بين الناس والله .. ما الذي ذهب من العمر وما الذي بقي منه ..

إن كل ما قرأت وتعلمت لم ينفعني في الإجابة عن شيء . لم أجد من كل ألوف الكتب التي أمضيت فيها عمري وأطفأت فيها نور عيني ، وأوجعت فوقها رأسي وظهري ، لم أجد واحداً يقول لي شيئاً يريحني . أو يجعل أيامي أسهل وآخرتي أهذاً .. لا شيء !

إنني لم أكن قريباً إلى نفسي أو إلى أحد أو إلى هذا الحكيم المجهول القوي الذي لا نعرفه والذي هو هناك وهو هنا في كل أحد وفي كل شيء . وماذا بعد ذلك ؟ نحن لا نعرف . ولا أحد يعرف ، ولكن من العدل لأنفسنا ومن الخير لكل الناس ، أن يراعي الإنسان ربه .. وأنت لا تعرف ربك إلا إذا كنت في لحظة واحدة باهرة عرفت هذه الحقيقة : أنك قطعت عمرك كله مسحوباً من عقلك وقلبك وغرائذك . وأنت في ساقية تدور وتدوخ وأنت أسلمت نفسك لجلاد هو الليل والنهار هو المال والجاه . والأولاد واللذة والخوف والطمع واليأس والشك .. وأنه لا وقت عندك لكي تفكر في شيء تفعله ، أو سوف تفعله . وأنت لست وحدك كذلك ولكن كل الملايين من الناس من كل لون وكل زمان وكل مكان وكل دين .. فأنت قرص تليفون في أصابع لا تهدأ إلا بالموت .. وإلا في بعض اللحظات عندما تكون قريباً إلى الله ، أو إلى الرموز التي توقفتك لحظة لتعرف من أنت .. ومن هو !

إنني لم أقل شيئاً . ولكني فقط لم أسكت عن محاولة القول . إنني لم اختر أنسب الكلمات . ولكني أحاول أن أختار أنسب المعاني . إنني

الآن فقط عذرت الذين انفتحت لهم « طاقة القدر » فنسوا أن لهم  
لساناً يطلبون به شيئاً من الله . وانقفلت طاقة القدر في وجوههم ودونهم  
ولم يتحقق لهم شيء . لأنهم لم يطلبوا شيئاً .. وكنا ونحن صغار  
نتواصى بأنه إذا انفتحت لنا طاقة القدر طلبنا إلى الله بقلوبنا ، دون  
حاجة إلى الشفتين واللسان ..

وإن قلبي قد امتلأ بالكثير ، ولكن المشكلة هي كيف أنقل هذا  
الكثير في هذا القليل من الكلمات ومن الحروف .. كيف أعبى النور  
واليقين والرغبة والخوف والجلال والجمال والصفاء والبهاء في هذه  
الحروف السوداء الصغيرة الإلتواء .. كيف ؟ إنه لأمر صعب ..  
وإنها لمشكلة العمر كله أن أتخيل نفسي ذلك الإغريق الذي تفنن  
الآلهة في تعذيبه .. ذلك المسكين الذي لا أنساه ليلاً أو نهاراً : تنتالوس .  
لقد حكموا عليه بأن يظل عطشان إلى الأبد جائعاً إلى الأبد .. خائفاً إلى  
الأبد .. وضعوه في بحيرة ماء عذب تحت أشعة الشمس .. فإذا أراد  
أن يشرب ارتفع الماء حتى شفتيه ، فإذا انحنى ليرتشف منه شيئاً انحسر  
الماء حتى قدميه .. وإلى الأبد . وإذا جاع أتت الآلهة بشجرة تفاح  
وراحت أغصانها تقترب من شفتيه ، فإذا حاول أن يقضمها ابتعد  
التفاح .. وإلى الأبد .. وإذا أراد أن ينام حملته الآلهة إلى أحد  
الكهوف وفجأة يسقط حجر ضخيم ويتوقف عند شعر رأسه .. وإلى  
الأبد ! وإذا حاول أن يصرخ ويستغيث انهالت عليه الأحجار  
والأشجار وأغرقته في الماء ، حتى يسكت !

شيء من ذلك أيها العزيز تنتالوس ولكن بلا ألم ولا خوف ولا  
جوع ولا عطش .. ولكن فقط أحسست أنني في ضوء غامر ، وفي  
راحة ساحرة ، وفي صفاء أمين ..



ولولا أنه من ضروري أن أقول ، لطوبت نفسي على راحتي ورضاي .  
وستنتعت هذه النعمة السبعة وحسدت لله على القليل الذي أعطاني  
وليست راحة النفس شيئاً قليلاً !

ولا أعرف من الذي قلبته من الله بالصسط . إنني توجهت إليه بغير  
كلام . ولكي لم أنس أن أردد شكوى الرسول حين قال : لنهم إليكم  
شكوى ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس - صدق رسول الله .  
وم أنس أن أكرر كثيراً ما كان يقول الرسول أبص : لنهم  
لا تجعلني قبلاً عبلاً ذليلاً - أن أكون بك كثيراً سليماً كريماً .  
في أعين هؤلاء الناس كرسود نصحاء الذين همطوا لأول مرة على  
قصر . إن ألسنا أعقل منهم عرفوا روعة لتحرية الشجرة سوف تجعلهم  
عجزين عن التعبير . ولذلك علموهم أن يقولوا هذه العبارة المليعة :  
هذه خطوة صغيرة لإنسان ولكنها كبيرة للإنسانية !

ولنهم جعلها خطوة كبيرة أيضاً لغيري من الناس الذين هم يوم  
في حياتهم ، فإذا ماتوا انتبهوا - أو قبل الموت بقليل !

وأنا لا أعرض للديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام .  
ولنم للديانات الأخرى صغيرة حست من قلبها ومن بعدها ويؤمن بها  
كثيرون جداً .

ثم إنها لا تحو من المعاني الكبيرة التي تقرب عنها الديانات الثلاث !

أنيس منصور

يناير ١٩٨٢

## خِطَ حَوْلَ كَيْفِهِ حَتَّى الْمَوْتِ !

الهندية أو الهندوسية أو الهندوكية أقدم الديانات التي عتقها الإنسان . ويدل على ذلك أكثر من ٤٠٠ مليون هندي . وهذه « الديانة » ليست ديانة بالمعنى المعروف . فليس لها كتب واحد ولا نبي واحد ولا إله واحد . والهندوكية هي أسلوب في الحياة أو هي « طريقة للحياة الآمنة المسالمة بين الناس » .

وقد ظهرت تعاليمها قبل ميلاد المسيح بأربعين أو ثلاثين قرناً وأدخلت عليها تعديلات كثيرة جداً . واختصرت لآلهة إلى ثلاثة أو أربعة أو سبعة . والهندوكية المعاصرة الآن تختلف بشدة عن الهندوكية في نشأتها . وأهم كتب هذه الديانة كتب اسمه «فيدا» بأجزائه الأربعة عن المظفوس والإبتهالات والصلوات .. وآخرها كتاب «تعاليم السرية» الفلسفية واسمه «الأوبشاد» . ويوجد بين أيدينا أكثر من ٢٠٠ نسخة متغايرة من هذا الكتاب !

وأسهل طريقة لسوء فهم هذه الديانة أن ننظر إلى ما يفعلونه . إنهم يقدسون الأبقار والقرود وبعض الطيور وبعض الحشرات وبعض الأشجار والأنهار . وقبل جداً من يقدس الثور .. أو يقدس السم والنحل .



وقد سنكر كثير من الزعماء الدينيين والسياسيين هذه المقدسات المختلفة ولكن حتى هذا الاستنكار لم يكن استخفافاً بالدين أو بالناس . ولكنه خوف على الدس أن يسبى الأجانب فهمهم . وأن يظن أنهم وثيون . ولكن المعنى الذي وراء تقديس الحياة والأحياء شيء آخر . إنهم يقدسون كل كائن حي . له روح . فالروح مقدسة لأن هذه الروح أبدية مثل روح الإله . وحتى إذا مات الإنسان أو الحيوان فإن هذه الروح تنتقل من جسم إلى جسم . من جسم إنسان إلى جسم إنسان آخر أو حيوان . وفي الجسم الجديد تكثر عن خطاياها القديمة . وتظل كذلك إلى الأبد .. أي عندما تنعدم الحياة تماماً . وبعد انعدامها تعود الحياة مرة أخرى . وهذه العودة لا تتم إلا مرة كل ٤٣٢٠ مئوت سنة وهذه المدة هي يوم واحد في عمر كبير الآفة .. ولكن رب الأرباب يبيع عمره أكثر من ١٥٠ يوماً أي ١٥٠ مضروبة في ٤٣٢٠ مليوناً من السنين !

والحقيقة الكبرى أو الحقيقة المطلقة وراء كل شيء تظهر على أشكال مختلفة . ولكن عدداً قليلاً من الناس الصالحين هم الذين يشعرون بها .. وليس هذا يكون من أوله لآخره إلا تجسيدا لهذه الحقيقة .. وليس من السهل على أي إنسان أن يرى الحقيقة الكبرى . مستحيل . ولكن فقط أن يرى صوراً لها في الإنسان والحيوان والسماء والأرض والدار والفناء والبرق والآلة لخصومة . وفي السخط والرضا وفي الحياة والموت ..

ولكن الناس العاديين ماذا يرون ؟

إنهم لا يرون إلا حياتهم وموت الآخرين .. يرون سنوات من الشقاء ومن السعادة والعلاقات الإنسانية والأخلاقية والقيم الجمالية ثم من

واجب عليهم أن يتحرروا من قيد الجسم وأن ينضقوا إلى الزهد والتقشف ولخلاص من الشهوات . أو بعبارة أخرى هناك أربع مرات يمر بها بعد الصبح . أنه من الضروري أن يفعل ذلك فهو في أول عهده بالحياة محب للحياة . ويستمتع بها . وبعد ذلك يكون له بيت وبيتيا لأن يكون روحا وأن يكون له عمل أو تجارة وأن يكون في حياته . ثم يتزوج ويكون له أولاد . وأن يحسي الخسيع بعينه وتعبه وتمسكه بالقيم الأخلاقية وبأن يحقق خير العام لكل أهل البيت .. فإذا كان له أحفاد ، هنا فقط يجب أن يأخذ زوجته ويمسكها من يده وأن يصعد بها بعيدا عن متاع الدنيا وأن يدبر ظهره لتكون وأن يستغنى عن حواسه كل رسة في شيء . وأن يكون زهدا راهبا . وأن يتحرر من كل قيد حسي وأن يحقق الخلاص لنفسه من جسمه وخسيع سجن نفسه . وهو أيضا مطبخها ومطعمها وموقده وأغلاها الدموية . وإذا تحقق له ذلك فقد تحول إلى نفس . وتحولت النفس إلى احتضار النفس الكبرى . فإذا فعلت فقد عادت إلى مصدرها الأول .

أو بعبارة أخرى : يجب أن تخصص الطفولة لطلب العلم . والشباب متعة الحياة . والرحومة الحمل المسؤولية . والشيخوخة للتفكير ثم الاتصال بالالوهية ..

وفي كتاب مقدس آخر اسمه : «باجفاد جيتا» نقرأ انه على الإنسان : أن يضبط نفسه . وأن يتسلط على حواسه . وأن يتقشف وأن يكون نظيفا وأن يصبر ويستقيم لتكون له معرفة لحقة . والصدق والإيمان . إن العظمة الأخلاقية هي جهد جسم أي أن تعتمد على نفسك في محاربة جسمك .



والروح بلا بداية ولا نهاية ، والكلمة كنه ليس إلا وهو إلى الحقيقة  
كلمة هي ، أو الروح مصفوفة ، أو ممكن أن يتبدل كلما جاء في كتاب  
لاورنبيدات الروح إذا تنفست صير هذا الكون عندما كلما يظهر  
تر تنفس على مرآة وضعها آدم وجهك أو على لوح من المعدن  
والروح من الخارج ، أو كلما جاء في الحندق حين الروح هي عين  
عين ، أو من الأذن ، والروح هي التي تجعل العين ترى ، ولكن العين لا  
ترها ، وهي التي تجعل الأذن تسمع ، ولكن الأذن لا تسمعها .. إنها  
القوة التي وراء كل قوة في جسمك .. إنها عين العين ، وأذن الأذن  
وعقل العقل وجسم الجسم ونفس النفس .

إن كانت الرومان رومان ، ولان يصف ، هذا من أمة الهندو كية  
و ستر رمان كنه ( ١٨٣٦ - ١٨١٦ ) فيقول : إنه متكامل بروحي  
مثنى مثنى في ثلاثة آلاف سنة ، ثم ترى حسنا عجيبا مشهورا  
وترى عيسى لامع من حدث في هذه ، عجيب و ذلك ترى حبة صدقية  
كأنها مرآة تعكس آلاف المعاني والقيم والرسائل السماوية التي تحسها  
ولا ترها . ثم إنه بعد ذلك إنسان يأكل ويشرب ويتجمع وينسج على  
الأرض ، لا استخدم من كل الأفكار ، كل الحقائق ، كل اللذات  
به ما سبق مكنه من ألف عينة ولكن في سعاده دموره وشوة دقيقة  
ويقول رومان رولان : وليس هذا الرجل وحده في الهند ، إن مثله  
مئات الآلاف . ولا يسعك إلا أن تتساءل كيف حدث هذا ؟ كيف  
كان هذا الصدد . كيف كان هذا الروح ، و حبات التي تهدي  
إليه بلا حياء هم : أنهم قدرتهم الحروف في السيرة على أحسادهم  
وتطويعها لأفكارهم واتحادهم في موسيقى وألحان سموات التي لا  
يعرفها أحد منهم ولكن بهم العظم قد غاب على شعبه في سنة ١٩٤٢

ستعرقهم في الدين . أو اعتقادهم لأنفسهم في فيود وتقديده لا علاقته به  
بروحانية الدين فقد قال : إن الناس قد سحبت نسبها طويلا وكثيرا  
في صقوس وتعميم . كنت صحتها ووفها وطاقتها على العمل . لقد  
شعروا كثيرا فيما يجب أن يكونوا به . وأن يتقدموا . ومن هذا الذي  
يسمحون له بأن يكون قريبا يلمسونه أو لا يلمسونه .. وانشغلوا  
بالطهارة والحداثة . في أنشغلوا بالرفق والرحمة . ثم بدأ يستعمل بعض  
عباد الله الذين ليست لهم طبقة .

وقال نهر : إنهم قد صعدوا نحوهم إلى عدم نفس حواسكم لدين .  
إنه وحده الذي يخلصكم من ظلام عشرات القرون .

إن نهر كان يطلب المزيد من التحرر مع أن الهندوكية قد تحررت  
كثيرا جدا من فيود الماضي ورواسب تحركات . ولدي يؤمن به  
المتعلمون الآن يختلف عن الدين الذي يؤمن به أهل الريف

يقول فرجيلوس فارم في كتابه : «الدين في القرن العشرين» : إن  
الدين الهندوكي قد تغير إلى حد كبير ولو ظهر واحد من المؤمنين  
تقدمي ورأى ما يتعمده متعمدون أو الناس ذات قورا فهم لا يستعملون  
أنفسهم كثيرا بالعدوات وإنما يكتبون . لحد الأدنى من التقديس  
لأشياء كثيرة . ويقول : ولا أحد يحد نفسه مضطرا إلى الصلاة قبل  
خروجه من البيت . ولا يصلي قبل تناول الطعام . ولا يحني رأسه  
لصورة على حائط أو تمثال للإله شيئا ونشتو وللآلهة الأم .. لا تأتي  
من ذلك .

فلم يبق إلا بعض الطقوس الرمزية .. ففي الديانة الهندوكية لا  
يذهب الناس إلى المعابد جماعة .. فالصلاة ليست جماعة .. ومن  
ممكن أن يذهب لإسناد وحده للرؤية للآلهة وأشكده المختمة .



. يتوقف عنده قليلا . ويطوي نفسه على شيء من التقديس لها .  
 وينتهي كل شيء بعد ذلك . ولكن في المناسبات الاجتماعية ينتجه  
 الناس إلى هذه المناسبات .. والعروسان مثلا ينفذ حول النار سبع  
 مرات وقد انعقد ثوباهما معا .. وإذا حملت العروس فلا بد من  
 انصوبات قبل أن يولد الطفل . وقبل قطع الحبل السري للطفل لا بد  
 من الصلاة . وتظل الصلاة في البيت عشرة أيام وبعد ذلك يعثرون  
 للطفل على اسم . وإذا حل موعد طهارة الطفل . فإنهم يضعون حول  
 كتفه ليسى حيط يظل مدى الحياة . وإذا مات أحد أحرقت جنته  
 فوراً .. وألقيت عظامه في أحد الأهرار وينضلون به الجانيح .. ويظل  
 الناس يصلون لروح عشرة أيام حتى تتمكن الروح من الدخول في  
 جسد آخر .. لتكمل تكفيرها من خطاياها السابقة .. أما إذا لم يصل  
 أحد هذه الروح فإنها تظل هائمة بين الإنسان والحيوان والأشجار بلا  
 مأوى معدة ملعونة مطرودة .. وكان من عادة المرأة التي مات زوجها  
 أن تقتل نفسها من بعده . أو تدخل النار حيه . فلا حياة لها بعده ..  
 واسم هذه العادة النسائي .. وقد أُلغيت هذه العادة بدخول الإنجليز  
 الهند . أو بتأثر اليهود بالديانة المسيحية والإسلامية . فلم يعد مقبولا من  
 وحده أن تموت لأن روحها ماتت . فلا الإحلاص يحتم ذلك :  
 وإنما هذا عشرة واحد عشرة . وهذا قلده هو وحده . وليس من الحكمة  
 أن تهلك المرأة جسدها . ضد أنه مهلاك الجسم تهلك الروح أيضا .  
 ولكن الروح لا تهلك . ولا يميت موت الجسم . فهي باقية بعد هذا  
 الجسم . وفيها لا مهية له من أجسام الإنسان والحيوان والنبات ..  
 حتى يتحقق لها الإحلاص من كل الخطايا وتعود إلى الروح الكبرى  
 وراء كل شيء .. فم يبق إلا هذه التقليد التي لا ضرر منها ولا خوف

على أحد أنه لا تستعرق حياة الناس وطاقتهم وأموالهم . وتسحبهم من وحدة العامة وتحشدتهم في البيوت في عزلة عن المشاركة الاجتماعية من أجل بناء المجتمع وتطويره .. إلى آخر ما قاله الزعيم غاندي وخليفته نهرو .

- ولكن ماذا تقول الهندوكية عن هذه الحياة ؟

الحياة عذاب . وعلى الإنسان أن يحتملها . لكي يتخلص منها . ولا خلاص منها إلا بحتمها وتزهد فيها . وفي تزهد أكبر دليل على قدرة الإنسان . والإنسان له قدرتان : القدرة على حسنة والقدرة على نفسه عندما يجعلها تتحد بالروح وراء كل وراء أي بالروح المطلقة . أي الله . وإن كنت الهندوكية لا تستخدم كلمة الله الواحد الأحد . لأن عندهم عدد كبير من الآلهة . أو من المقدسات التي هي مقدمة الآلهة !

- وهل كل مظاهر الطبيعة مقدسة ؟

- كثير من مظاهر الطبيعة .. الجبال والأنهار .. والمؤمن يشعر أمامها كثير من الخشوع ولا ينسب بسوء .. ولا يقطع أشجارها ولا أرهارها .. إلا فقط عندما يضعها أمام صورة الآلهة أو تماثيلها في البيت .. في كل بيت ركن مقدس .. والشعس لأعياء يجعلون في كل بيت غرفة أو قاعة كبرى .

- ألا توجد أماكن مقدسة ؟

- طبعاً هناك مدن بأكملها مقدسة .. مثل بانارس وهاردوار وبه ديا ودورا ك وماثورا وكنسيورام وأجينا والله أبدي .. وأهم مقدسة يغتسل فيها الناس في موافيت معروفة .. فيقتول أنفسهم في نهر الجانج

ومن فعل ذلك فقد غفرت له الآفة كل خطاياهم .. وأعادته طاهرا  
جنيئا كما ولدته أمه .

ثم هناك ابتهالات معروفة كالتى فى القسم الأول من كتاب الفيدا .  
فمثلاً ابتهالات إلى النار التى اسمها «أجنى» تقول : أيتها النار التى  
تتحركين فى كل اتجاه . أحسينى من الناس القرييين والبعيدين الذين  
يريدون بنا السوء .. أيتها النار انقلى صلواتنا وتوسلاتنا إلى الآفة . أيتها  
النار ارزقى الذين يقدمون القرابين لك . كما يفعل النهر مع الفلاحين  
حين يغمرهم بالماء .

وهناك ابتهالات إلى الرياح .. وشبهه من كتب الفيدا  
قصائد إلى رياح من حيث هي . مثل قصيدتي هيبا مريث  
إلى صوت حبيب إلى رياح تهب من فصل حبيبه كنه . وبشر  
الاشرار ويدق الطبول للاختيار

وابتهالات إلى الإله «أندرا» وهو إله السحب والمطر والرعد . وهو  
يشبه الإله «أودين» فى أساطير السويد والنرويج .. وهذه الابتهالات  
تقول : أنت يا أندرا أنت الذى أمسكت الأرض حتى لا تحطمها  
الأرواح الشريرة وانت تستحق عظيم الثناء وعميق الامتنان .

وابتهالات إلى إله الماء المسمى «فارونا» وهو يشبه الإله الاغريقى  
أورانوس . وقد حدث تغيير لسلطات هذا الإله فأصبح إله مياه  
المحيطات فقط .. ولم يعد ذا سلطات واسعة تمسك السماء والأرض  
وتمسكهما بعيدتين الواحدة عن الأخرى . وتقول الابتهالات : أعطنا  
لثراء العريض يا إلهي . يا زعيم العالم ، يا بطل الأبطال ، خذنا إلى  
حصد السعدية وغنى حصيد . وحصد من حصدت ومحببت  
.. حصدت يا إلهي حصد فيودى من ديو في . وتركتى عمل ليلا ..



حتى أخلص نفسي من جسدي . ثم أخلص نفسي من شروري وألحق  
بالروح العالية السامية وراء كل شيء .

وهناك ابتهالات للماء وابتهالات للنجم والشمس والموت والآباء  
. هذه العبادة ، هذه العبادة ، والشمس والنجم والموت والآباء  
. هذا هو الحق في الدنيا . ومع كل عبادة ، لا ينبغي أن ينقطع هذا  
العبادة . وفي تلك العبادة ، على كل عبادة ، لا ينبغي  
في كل شيء ، لا ينبغي أن ينقطع هذا العبادة . لا ينبغي  
أن يعرفني . إنني أنا كل شيء . أنا مصدر هذا العلم وأنا سبب تفككه .  
لا ينبغي ، فوق . كل شيء ، ملتصق بي تماماً كما تثبت الأحجار الكريمة  
في حيط . أن يضعه . الشمس والنجم . صوت البحر .  
وكل ما ينقطع عن الأرض . لا ينبغي أن ينقطع كل كائنات .  
غصة . كل ما هو حصى . وكل ما هو حصى . ومع عبادة على .  
حينئذ تعيش في .

وفي ختام الكتاب نقراً : « المعرفة أعظم من الممارسة ، والتأمل  
عظم من المعرفة . و . . . . . » . والسلام هو عظم من  
الزهد . وهذا هو الهدف الاسمي لهذه « الديانة » وهذه الحياة .  
ينكر الإنسان جسمه ، وأن يتنكر لنفسه . وأن ينجو بنفسه من جلده .  
فالحياة حرب مع النفس لإذلال الجسد . والقضاء على النفس  
والتوقف عند كل شيء . هذا فقط . مع كل عبادة .  
حق السعادة المطلقة والخير الأسمى . و « العدم النشوان » !

## هكذا قال ولم يقل زرادشت ..

هو الطفل الوحيد الذي ولد وهو يضحك . فضحكت له كل  
لدنيا .. الجبال ترنحت والأشجار تمديت . ولحوم تراقصت ..  
وانفجرت الحقول بركين من الألوان .. لقد ولد زرادشت .. يقال في  
القرن السادس قبل ميلاد ويقال في القرن العشرين . لا أحد يعرف  
على التحديد .

ولم تفهم أمه إلا فيما بعد . ماذا كان يمسك بيده حجرا ويده  
الأخرى كان يطبقها على لا شيء .

وعندما قرر أن يتزوج حذر الفتاة التي اختارها نوه وأمه . ولكنه  
قبل أن يقترب من عروسه استأذن ولديه إن كان في استطاعته أن يرى  
وجهها فقط . وكشفت الفتاة عن وجهها . فعرفها واحدا . وكل شيء  
يبدأ بالمعرفة وبعد ذلك يخفي الحب . وعلى الإنسان أن يعمل خيرا .  
في نهاية العلم توزن الأرواح وتذاب على قدر العمل . هكذا قال  
زرادشت عندما أصبح رجلا ..

وبعد أيام روجه ودعوته ندس هرب إلى أحد الجبال . وفي كهف  
أقم . وفي يوم احترق الجبل . وهرب ولكن لم ينج . كادت تأكله . لم  
يسبها . وإنما جمعها بعد ذلك رمزا للحياة ولخلق الحياة . وكان يجمع

حوله الحيوانات والطيور ويطعمها . وكان يعالج المرضى بالأعشاب ويشفي العميان بالأعشاب .

ولم يعرف الغرب اسم زرادشت إلا في إحدى محاورات فيلسوف الإغريقي أفلاطون . مرة واحدة في «محاورة القبيادس» .

وعش ٧٧ عاما . ولديانة الزرادشتية من أقدم الديانات في العالم . وفي رأي أقدمها جميعا وكل بداءات وتشيرت زرادشت قد جمعت بعد ذلك في كتاب اسمه «الأغاني» . وهذا الكتاب لم يجمع إلا بعد موته بألف سنة . وتأثرت الزرادشتية بكل ديانات وتغيرت وتبدلت وهذه الديانة أيضا تحتفظ بأقل عدد من المؤمنين . وتباعها لا يتجاوزون مائتي ألف . من بينها مائة وعشرون ألفا في يومئذ يفسد . وحوالي الثمانين ألفا في إيران . . والباقي قد تشر في العالم كله .

وبعد وفاة زرادشت نفسه عاد أتباعه إلى عبادة الطبيعة . وآلهة الطبيعة . ويقال إن أتباعه قد جمعوا خطبه وهو عظه في واحد وعشرين فصلا أو واحد وعشرين كتابا سمها جميعا «النسك» ويقال إن الملك داريوس ( ٥٢١ - ٤٨٥ ق . م ) كانت لديه ثلاث نسخ من هذا الكتاب وكانت مكتوبة على جلد الغزال . ويقال إنه وضعها في مكان أمين . ويقال إنه احتفظ بواحدة منها في قصر في مدينة برسوليس في إيران .

ويقال إن الإسكندر الأكبر أحرق قصور برسوليس ( ٣٣٠ ق . م ) . وأحرق أيضا كتب زرادشت . ولم يغفر له أتباع زرادشت ذلك . فكانوا يلعنونه كلما وقفوا أمام النار . يصلون لها . أو يتذكرون لإله . بمناسبة الوقوف أمامها . وقد وصفوا الاسكندر بأنه الشيطان . أو أنه ملعون . أو الذي يجب أن يكون ملعون . في كل عصر ويقال أيضا إن



الملك داريوس قد بعث بنسخة من كتاب «النسك» إلى مكتبة الإسكندرية بمصر . وبقيت نسخة فيها عدد قرون إلى أن أحرقت مكتبة الإسكندرية (٤٨ ق . م) .

وبعد ذلك وقت طويل أمد رحل الذين كثر في تعليم زرادشت ولكن من المأثرة . ولذلك دحض هذه التعليم حكم قديمة ونعم من ديانات أخرى . لا حدود ولا عدد لها

وخرج زرادشت من تملاته الطويلة إلى هناك صراخا دائما بين الخير والشر . بين الروح والمادة . بين الحياة والموت . بين النور والظلمة . بين السماء والأرض . ولا يمكن أن يفصل بين الخير والشر . بل هما متلازمان . ولا بين السماء والأرض . ولذلك وفيه كان يصوي إحدى يديه على مادة . ويده الأخرى يطويها على لا شيء . واحده على المادة وواحدة على الروح . واليد التي رآها في الليل لم يسهل فقد ظل سنوات عسره يحول أعواد السحر إلى نار . التي يعيدها إلى أصلها فالنار والنور أصل لكل شيء . ولذلك أحب أن يتأثر بأشعة النار دائما فالنار ليست هي الله ولكن النار هي ما يمكن أن يراد للإنسان من الله . والطبيعة كلها هي جسم الله . وحسيد الخير . وفيل ظهور زرادشت كنت إيران . ومعه ثلاثه آلاف من يعبدون عشت من الآلهة . ولا يتصورون أن الله واحد . وأن قدرته مضمقة . وإنما كانوا يرون أشكالاً وأجساماً لتفسيده المطلقة . وسب ذلك أن العقول المحدودة لا تقدر إلا على رؤية المحدود محسوس . أما العقول الكبيرة فهي استطاعت أن تراه كبيرا . وأن تفهمه دون أن تحسه . .

وعرف زرادشت أن «أهورا» هو الخالق أو هو الحياة . أو هو

خالق الحياة . أو هو الخير .. وأن «مازدا» هو خالق المادة . أو هو الشر . أو هو الشيطان أو مدمر الحياة . أو هو الموت .

ولكن لا بد حيث يكون خير يكون شر . وبما ولان هناك ظلام . تظهر النجوم ولان هناك أرض مخصصة تنمو حشيش باردة . ولان هناك أرضا يابسة ، تبدو البحار . فالأضداد توجد معا . الضد يوجد بالآخر ويحاربه وبصارعه .

ولذلك فالكون كله هو (أهورا مازدا) أي التوأمين الأبديان . لمجهول لقوة واحدة . لإنسان لقدرة واحدة . بل إن كل لآلة موجودة في الكون في ذلك الوقت ليست إلا وجود متعددة حقيقية واحدة . إن مثل كون لطيف . إذ حركته احتوى عصفور في بعض وأصبحت هذا الضوء الأبيض . وكذلك لآلة متعددة ليست إلا وجود لأحد الذي هو الشر والخير معا وأبداً ..

إن الشاعر الإنجليزي تينسون قد أحسن التعبير عن ذلك في قصيدته المشهورة والتي عنوانها «في ذكرى بقول الشاعر» ذلك الإله الذي يحب ويعيش . ذلك الإله هو القدوس له حمد هو العصفور الواحد الذي به وحوله ومن أجله يدور الكون كله » .

ويقول زرادشت نفسه : هذه أنكمست أقوه لكل فتة سوف تتروح . وأقوه لرحلتها أيضا . هذه أنكمست حتمصو ٢٠ في عقولكم أنتم جميعا وفهموه عمق : غيبكم بالصدق والحب وعداها سوف تحبون الخير وتعصونه . ولجيد هي العمل . والعمل هو الخير وسعادة وسلام للنفس ولنجميعهم هذا هو السعي . خير بلا مقابل .. احتمصوه وفهموه . وردوده . هذا وحب على كل واحد منكم . وبعد ذلك لا ذنب لي . فأنتم وحدكم المذنبون .

أنا قلت . وانتهيت . وسوف أنتهي . وأنتم أيضاً على خير .  
وزرادشت يقول أيضاً : « كل إنسان يجب أن يفهم القانون لإله  
الحق والخير . ويجب أن يحقق الحب بين الناس . فغير الحب لا  
حياة ولا خير . وتحقيق الحق بالفعل وليس بالقول . وأكثر الناس  
قدرون على كلام الحب . عاجزون عن فعله . وعلى كل إنسان  
أن يتمسك بالإيمان الحق . أي بالحب . وهذا وحده يتحقق الكمال  
الأبدي » .

ويقول زرادشت في كتابه « الأغاني » : « احرصوا على النار التي فيكم .  
لا تخدموها بالشر . لا تخدموها بالجهل لا تخدموها بتراب الحياة  
الأرضية . كل واحد منكم في داحيه شريرة الحياة .. وشريرة الفهم ..  
ووهج الحب .. وتائق لنداءات الطبيعة . أبقوا هذه النجوم زاهرة في  
أعماقكم . وعلى هديها افهموا . وعيشوا وأحبوا . وهذه الشريرة أو  
هذه النار هي التي يرمزون إليها في المعابد فيصنعون سراج من الزيت  
يظل مشتعل في هدوء عشرات السنين . بل إن تقنيدل الموجود في  
معبد إيران شاه على مدى مائة ميل من بومباي في الهند . لم يطفئ  
منذ ألف سنة . وسوف يبقى كذلك ألماً أخرى !

وهناك دائماً محاولة مستمرة لإحصاد الفهم والخير في نفس كل  
إنسان . وهذا الفاعل الشرير هو الإله مزدا . أو هو لتوأم الإلهي  
مزدا .. فهو الظلام الذي يريد أن يحتضن كل شيء فلا يبدو لأي  
عين . وهو الماء الذي يريد أن يطفئ النار . وهو التراب الذي يريد  
أن يغطي لمعان الروح ..

والشاعر الأذني جيته قد شبه بعقريته إلى هذا المعنى في مسرحية  
دوست . وجعل الشيطان هو مفيسثوفيس . وعلى لسانه يقول : إنه



روح الله به سالت دائما .. انه الرقص الخند .. به كلمة لا  
الأبدية !

ويقول زرادشت نفسه : « بأذنك استمع إلى هذه الحقيقة .  
وعقلك الفهم . وفتحت يجب أن تحب .. بعض أيها الله أيها  
يعمل أيها الكسول ونتم كلمات الإله في كل مكان تمت فيه .  
أو صحت فيه . أو كنت أو شربت .. بعض عقل كلمة الإله .  
ولا تكن أخرس في الحق .. ولا تكن متهاونا في الخير .. هذه  
نصيحتي » .

ويقول زرادشت : اعدوا تسد آذانكم سمعيات الأرض . يصبح  
لخير بعيدا . وهذا تتحول رغباته إلى حقد و غضب و حرب و شر .  
ويقول : ابعدهم للحقد عك . لا تدع شيئا يدفعك إلى العنف .  
إن هذه الحكمة القديمة لا تزال شائعة . وكأنه يتوجه بها إلى العالم كله  
وكان هذا هو أسلوب حياة زرادشت كان عرو . أو يحب أن  
يعرف . وكان فهم . ولا يحب أن يبدو كذلك . لأن المعرفة طويلة .  
وضيقة شاقة . وأخطر العارفين هو الذي يقول إنه يعرف . ولو سأل  
نفسه . وما الذي أعرفه . فيه لمن يجد جواب . وكثيرا ما تلف المؤمنين  
حول زرادشت يسألونه : قل لنا يا معلما وما معنى أن يكون الأشجار  
أنحى وأكثر مالا . وأن يكون لخيرون فقراء متواضعين !

وكان زرادشت يطير لظفر إلى السماء . وإلى الجبل وإلى الأشجار .  
وينظر إلى عصفورة فتحط على كتفيه .. وتنتقل إلى يديه ويخرج من  
جيبه بعض حبوب قمح ويطعمها . وتركه . ثم تعود عصفورة  
أخرى ويطعمها .. وكان الناس من حوله قد فهموا كل شيء . فلا  
يعتق على هذه الأشياء الغريبة التي تحدث له . أمام الناس . ثم يجيب

عن السؤال قائلًا : «مضًا أيضًا : الأشرار أغنياء أقوياء . لأن الشر سهل . والخير صعب . خدم سهل وأبناء عسير . والجهل لا يكف الإنسان مستقة . ولكن المعرفة تكفنه الكثير . والشرير يعري الآخرين . فكل رديئة ممتعة . وكل فضيلة مرّة . ولرذيلة إقبال على شيء . ولتقصية امتناع عن شيء . ولرضا هذوء . ولسخط حطف كالبرق . صاعق كالرعد» .

ثم يتوقف زرادشت عن الكلام . ويسكت المؤمنون به . ويذهبون يتفكرون فيما قال . ويحتقنون . ويعودون إليه في اليوم التالي . أو الأسبوع التالي . وينتقون حوله ويسألونه في خشوع وينتظرون في صبر يسألونه : قل لنا يا معلم هل نقول نعم دائما . ألا يحق لنا أن نقول لا ؟ وكما هي سدة زر دست ينظر إلى فوق طويلا وإلى تحت طويلا ثم يدير رأسه بعيدا عن تلاميذه ويعمض عييه ويقول : بل قولوه كثيرا .. قولوا : لا خلاقات .. لا حروب .. لا كراهية .. لا شر ! ويعود يقول : الحياة هي السلام على الأرض وهي الخير للإنسان .. أن يعرف . أن يحب . أن يعمل حيرا - هذه هي حكمة الحكم في هذه الحياة !

وعندما قال له واحد من المؤمنين : أنت أستاذنا أنت معلمنا .. لم يسترح زرادشت وقال له : «المدرس هو الوحش . هو الحيوان لأكون !!» .

ثم سكت . ولم يفهم أتباعه . ولكن واحداً منهم تجراً ورفع رأسه وأمسك طرف ثوب زرادشت وقال له : زدني علماً يا معلم .

ورد عليه زرادشت يقول : المدرسون هم الوحوش التي تلتهم الحقيقة ولا تفرح إلا بالكذب . إلا التفوق . الذي أقوله لكم خذوه مني

وعلى . ولا تعبروا فيه . ولا تنجأوا إلى أحد من هؤلاء مدرسين  
مدرسين . إنهم سألوني أن أدعاهم دمت حيا . وعندي يكون أمركم  
في أيديكم . والدنيا لكم أو عليكم !

وبعد .. ادشت بعثت القرون وال شعير الإخيري مبعوث  
وهم بصف لطل كرومهم بل : ما الذي تعلمه الناس . أنت تعلم  
الناس كيف تعوي ! أنت يا أستاذ الجميع !

ومن ثلاثين عاما . قول لأدب لايطاي حووي . يسي لذي أنف  
كندا من شيطان حرمة القاتيكين : إن در دشت هو أول من ارتفع  
مستوى شه في تاريخ فهو الذي جعل شيطان شريك في خلق  
ومسح لكل صدام . ومرة لكل جسم . وهيا يحرق كل شيء .. وهو  
في نفس الوقت هو الذي جعل نهاية الشيطان حتمية . لأن الخير  
سوف يسود في النهاية !

وزرادشت لذلك رجل أو مصلح أو نبي متفائل . فهو يرى أن  
العالم سوف يسوده الخير .. سوف يتغلب أهورا على مازدا .. وبعد  
ذلك تنتهي هموم البشرية وعذاب الإنسان . ولكن العلم عند زرادشت  
لا يريد من نبي علمه أنما من السنين وله أربع دورات . كل واحدة  
ثلاثة آلاف سنة . ويقال إن زرادشت يؤمن بأنه بعد هذه الدورات  
سوف تكون قد انتهت فيها قوى الشر . يعود العلم إلى ميلاد جديد  
وهكذا !

وكان زرادشت أول من قال إن هناك دينين لكل الناس . دين  
السوء ودين العلماء . والذي يقبل للعلماء لا يقبل للناس السذج  
وإذا حاول السوء أن يعرفوا ما يقبل للعلماء كفروا . واعتقد أن



فيلسوف عربي لغزائي قد قال شيئاً قريباً من ذلك . فهو أيضاً كان يتحدث عن إيمان العوام وإيمان العلماء ..

وكان زرادشت حريصاً على أن يحقق الناس رغباتهم المتواضعة فقد ميز بين الناس ثلاثينهم . قسم الناس إلى أربع فئات : رُحان ، ندين والجنود وملاحين أو التجار ثم العمال والخدم .. وكان رُحان ندين ينسبون لصديري المقدس والجنود يرتدون الجلباب منسج . وملاحون ينسبون لفدفة المقدسة .. والعمال يضعون حزام على ملابسهم . وكان لا يقر هذه التفرقة بين الناس ولكنه فقط أراد أن يرضي أصحاب الإيمان البسيط الساذج .

ويحدثون لفيلسوف الألماني نيتشه في كتبه الأربع هكذا : « زرادشت » أن يكون قريباً من زرادشت الإيراني - الذي ولد في ذريبح - فقد : « إن الذي يريد أن يكون حائزاً للخير والشر - يجب أن يكون أيضاً مدمر . وأن يحطم القيم إلى شظايا .. »

« وهكذا يكون الشر الأسمى ، جزءاً من الخير الأسمى . دعوني أقول لكم أيها الناس عقلاء أن تسكنوا هذه البعثة . بل إن الحقائق التي لا يكشف عنها أحد هي السموم القاتلة » .

« وكل ما يتحطم فوق الحقيقة ، دعوه يتحطم .. فسوف نبني بيوتاً كثيرة بعد ذلك ! » .

« هكذا قال زرادشت ! » .

ويقول نيتشه معبراً عن فلسفته وبأسلوبه هو : إنني أحب الذين لا يعرفون إلا الاحتقار العميق . لأن الذي يحتقر هو الذي يحترم أيضاً . به يحتقر شيئاً ويحترم شيئاً آخر . إياهم أسبغوا نومي والتي تريد أن تبلغ الشاطئ الآخر .

لقد آن الأوان للإنسان أن يعرف هدفه . لقد آن لأوان للإنسان أن يضع بذور آماله العظيمة .

إن أعظم ما في الإنسان أنه ليس جسم الغيرة . ولكنه هدف ببلغه . وإن أعظم ما نحمد في الإنسان أنه التقى وأنه دمر ! .

« هكذا قال زرادشت » .

ولم يقل زرادشت ذلك . وإنما الفيلسوف الألماني بيته . فيلسوف لقوة ونبي النازية بعد ذلك . هو الذي يريد أن يتحوّل الإنسان إلى عبادة الإنسان الأعلى . إلى عبادة النبيل ولقوة ولسمو في الإنسان نفسه .. أليس الإنسان أسمى مخلوقات الله ؟ إن عبادة الإنسان للإنسان هي تقديس لأقدس ما خلق الله ..

ويقول زرادشت : أبدا .. ليس الإنسان ولا الحيوان ولا الجبال .. ولا الماء .. ولا النساء .. ولا السلطة ولا لقوة .. إن شيئاً وراء ذلك كله هو الذي يستحق أن نتحى إليه .. أما طريقنا فهو « الآشا » - أي المعرفة - وهي الطريق الطويل .. وما عداه فضلال . وزيف وكذب .

هكذا قال زرادشت منذ ثلاثين قرناً !

## ظهوره إلى حائط مُتجهًا إلى الشرق

خاطب الناس . كلمهم . خذ منهم . أعطهم أكثر . أشعل النار في أعماقهم . وعلى ضوء النار ترهم ويرونك . لا تدع أحدا وحده . قُرب حتى لا تكون بينك وبينهم مسافة - هذه وصايا بوذا إلى تلاميذه من الرهبان وحوارييه من المؤمنين في كل مكان .  
وبوذا ليس نبيا ، ولا صاحب فلسفة . ولكنه «شيخ طريقة» . هذه الطريقة من اجتهاده . ولكنه ليس مخترعها . وإنما أخذها عن الأديان السابقة . وكلمات بوذا بقيت غير ماثت السنين ، ناقصة ومضاف إليها فهو ولد في شرق الهند ٤٨٣ ق . م . وتوفي عن ثمانين عاما .

نظر مثلا كيف تتولد الحكمة على لسانه عندما يسأله حواريوه :

- لماذا نعيش يا سيدنا ؟

- ليس هذا سؤالاً !

- كيف نعيش يا معلمنا ؟

- هذا هو السؤال !

ولذلك فهي ديانة بلا إله . ولكنها حياة لها قواعد وأصول . وبهايتها أن يحقق الإنسان السلام التام بانعدام كل رغباته في الحياة والأحياء .

- ما هو أمضى سلاح ؟
- الكلمة .
- ما هو أقدر سم ؟
- الحقد !
- ما هي أقسى نار ؟
- شهوة !
- ما هي أحلث لينة ؟
- جهل !
- من يحصل على أكبر مكسب ؟
- من يعطي أكثر !
- من يذبح يفسد أكثر ؟
- من يأخذ من الناس بلا امتنان !
- ما هو أمتع حصن ؟
- الصبر !
- ما هو أروع سلاح ؟
- الحكمة !
- من هو أخطر لص !
- الشر !
- ما هو أعظم كنز ؟
- الفضيلة !
- ما هو أقسى ألم ؟
- عذاب الضمير !
- ما هي أعظم متعة ؟



- أن تعطي !
- ما الذي يخرب العالم ؟
- الجهل !
- ما الذي يفسد الصداقة ؟
- الأنانية !
- أقسى مرض ؟
- الكراهية !
- ما هي الشر التي لا تحرق ولا يخمدهم امطر . ولا تقتلها الريح ؟
- فعل الخير !
- وكلم سئل بوذا سؤالاً . أجاب عنه بقصة . أو زهرة أو بحكاية .
- و سئل عن ضرورة التعاون بين الناس قال : الناس بالناس للناس .
- كل إنسان له فائدة في هذه الدنيا . لا أحد وحده . لا يقوى على ذلك
- ولا يريد . وإذا أراد لحظة . ندم في اللحظة التالية . تصوروا رجلاً
- أعرج لا يستطيع أن يمشي . ورجلاً أعمى يستطيع أن يمشي . فكيف
- يمشي الإثنين معاً . هناك حل . أن يتسلق الأعرج كتفي الأعمى
- ويقول له : اتخه يميناً أو يساراً . والمعنى أن الذي يستطيع أن يتحرك
- لا يرى . والذي لا يستطيع أن يتحرك يرى . والإثنين معاً . حركة
- ورؤية !
- حدث بوذا في إحدى المرات أن يختار واحداً من تلامذته فسأله .
- ماذا تفعل إذا ضربك إنسان بالعصا ؟
- أشكره لأنه لم يضربني بالسيف !
- وإذا ضربك بالسيف ؟
- أشكره لأنه لم يقض على حياتي !

- فإذا قضى على حياتك ؟

- أشكره لأنه خلص روحي من عذاب الجسد !

- أحسنت : عندك نصير والعقل والإعتدال .. اذهب وانصح

نفس ! ويقول عن نفسه : «أنا النور من يريد أن يرى . أن السرير  
من يريد أن ينام . أن الخادم من يحتاج شيئاً أن الكل للكل !» .

هذا لرجل اسمه بوذا . وأصبح اسمه بعد أن كبر بوذا . ومعنى  
هذه الكلمة : اليقظان . أو الصاحي . أو الناهض . أو الصحوة  
الكبرى . أو اليقظة العظمى .

ولد في الهند ولكنه عاش قبل مولده ألوف المرات . وفي ألوف  
الأجسام . دخل جسماً وخرج من جسم وخلال هذه الحيات  
والميتات تحوّر وتصور وتطهر . فهذا التناسخ المستمر قد جعله  
أصغى وأكثر تهيؤاً للحياة الطهارة المنطقية . وعاش في السماء أيضاً .  
وعندما أدرك أن حياته توشك على النهاية ولد من جديد في جسم أمير  
طفل على حدود مملكة نيبال شمال الهند .

وكانت أم الطفل ملكة اسمها «خديعة» رأت في المنام أن النور  
يدخل بطنها على شكل فيل أبيض . والسعادة تغمرها والكون معها .  
والموسيقى تعزف في كل مكان . والورد والزهور قد غطت كل أرض .  
والأمهار توقفت عن الجريين وراحت تنتظر شيئاً يوشك أن يحدث .  
وتغطت البحيرات بأوراق اللوتس .

واجتمع في بلاط الملكة أربعة وستون من العلماء . يفسرون لها  
الحلم . قالوا : إما أن يكون المولود عظيماً . أو أستاذاً ومصلحاً  
عظيماً .

وولد طفل واحد، العلماء وثاكروا من وجود تمانين علامة في  
حسمه تدل على أنه سوف يكون معسلاً لسترية . وفي اليوم السابع  
لموئده ماتت أمه من الفرحه به . وجاءت أختها وتولت تربيته .  
وبالبع الثانية عشرة من عمره . حسم أبوه المنك كل رجل تقصر  
هول هم : فتوني في أمري ؟ إني لا أحمه أن يكون مدرسا . وإياكم  
أن تذكروا أمه شيك يجعله ينكر . فلا كسمة واحدة عن الموت أو  
الحزن أو الفقر .. حتى يظل بيننا !  
وكان أبوه رجلاً ذكياً .

واحد لأب قرر سريعاً أن يروح حتى يشعل تمدا عن تشكير  
في شيه وأدخل موسيقى ولعبه ورقص والمزح في كل مكان في  
قصره . وكان الأمير يلف في تقصر ليسمع أجمل الألحان من أغس  
لوجود . وأعطي لأب الله عدد من المجوهرات وقل له : سوف  
تمر عيشك كل الأميرات أعط كل واحدة جوهرة . وإذا أعجبتك  
واحدة فأعطها اثنتين .

وحملت الأميرات . أعطاهن الأمير نصعير جوهرة لكل مهن .  
وفي آخر لحظة حملت فتاة وظهرت إليه وظهر إليها . ودخلت قبه  
وأعطاه حاتم شيه وكانت زوجته وهي إله أحد الوزراء . والموزير  
من قبيلة لها تقاليد . وعلى العريس أن يستعرض قدراته أمام العروس .  
وإلا كان غير كفء لها . والعريس أمير ابن ملك وحياته ناعمة . ولم  
يعم فيها شيك ولكن الأمير استطاع أن يمسك السيف وأن يبدل  
حدا أسد . منهم حديد وأمسك سيف الرهمن وهو أضخم  
سيف . ولا بحسمه إلا عشرة من الرجال رفعه ووضعته كأنه ريشة في  
كف عملاق هائل . وأصبحت زوجته .

وعاد الأمير يتأمل كل شيء . فلم يجد حوله إلا صوراً متوعدة  
 لهم . وأدرك أول حقيقة : أن الإنسان يمضي ولا يعود كالأمير  
 . حياته كالنار حطئة محطوة قصيرة زائلة ! وطلب الأمير من  
 ولده أن يريه إحدى المدن . فذهب حوود الملك يكتسبون الشوارع  
 ويغسلون الأبواب والجدران ويبدلون ملابس الناس ويحرقون  
 شعورهم . ويعلمونهم الضحك والعداء . حتى لا يرى شيئاً يحزنه  
 أو يزعجه . وكان أول ما رآه الأمير في الطريق رجلاً حينئذ شيخاً  
 يده ترتجف وقد سحى على عصاه . ويؤمن الأمير أن هذه هي مهية  
 كل حي ! وعندما عاد إلى القصر لم يجد لأحد سؤلاً يدوي في أذنيه :  
 ألا توجد طريقة للخلاص من الشيخوخة ؟!

وفي اليوم التالي رأى مريضاً لا علاج له . ورأى جسارة وأدرك  
 عذاب الإنسان .

وانتقلت سوء في طريقه رجلاً زاهداً في الحياة . ورأى السعادة  
 والفرحة على وجهه . وآمن بأن هذه هي العلية من حياة الإنسان على  
 هذه الأرض . أو حياة الإنسان قبل أن تدخل روحه جسداً آخر .

وعاد إلى ولده يسأله : أيها الملك إن كل شيء زائل لأنه متغير  
 ومؤقت . دعني أمتي في طريقتي راهباً أمد يدي للناس . لأنني لا أملك  
 شيئاً فالذي يملك شيئاً ، هو الذي يملكه هذا الشيء !

وحزن الأب على ولده . ودعا حراس القصر . وشددوا الحراسة  
 على كل الأبواب . وطلب مريداً من الموسيقى والعداء والرقص  
 والشراب . حتى لا يترك الأمير مملكته وعرشه . وكانت روحه قد  
 مدت ظملاً . وقبل أن يعاد القصر ألقى نظرة على تحريم في عرف  
 القصر : حزينات واهنات مرغبات على الحب مكرهات على



نصحت . مدفوعة إلى نوم . وأنفسهم عالية . وصدهورهم  
يمزقها السعال ، والشحوب هو الخطوة الأولى إلى القبر .

وقرر أن يلقي نظرة على ولده وأن يقبل زوجته . ودخل غرفة نوم  
زوجته الحبيبة فوجده قد احتضنت طفله وحتى لا يوقظها هي أو  
طفله تركها دون ودع . وصطحب معه حصانه وأخذ تلامذته  
واستطاع أن يغرق بحرس في النوم . وأن يجعل حصانه يمتشي أعلى  
من الأرض حتى لا يشعر أحد بوقع حوافره .

وعند أطراف مدينة ودع حصانه وصديقه . وأحصى الحصان  
يلحق قدميه . وطلب إليهما أن يوسيا والده . ثم تركهما . وبضربة  
من سيفه نزع شعر رأسه كله . وأتى إلى أحد نصيادين وأعطاه  
ملاسه . وأخذ ملاس الممزقة . وأخذ نفسه إلى أعلى . وانتقطته  
لسمه . وقبل اسم الراهب جواتما . وهو اسم أسرته الملكية . وأحياناً  
جعل اسمه ساكي موني . أي راهب ساكيس . وتنقل في كل مكان .  
وتكشف تماما . حتى أصبح لعظم يبرز من تحت حده ولم يعد له  
حسم . وإنما هيكل عظمي ونسه إلى أن الضعف الشديد والخرال التام .  
يجعلانه ضعيف عن الحية وعن التفكير . وقدمت له فتاة طبقاً من  
الأرز . أحذه شكراً . وهو رأسه لأنه فهم المعنى . فقد أرسلت له  
لسمه هذه فتاة . وراح يتسول طعامه في هذا الطبق . واستحم في  
نهر . وهجروا أتباعه الخمسة . وهم يضيقوا هذا لتكشف العنيف .

واتجه إلى مدينة بارس في جنوب الهند . ووجد هناك تلامذته  
الخمس ولم يكذ التلامذة يروونه حتى قالوا : أخيراً عاد الأمير المدلل .  
لا شأن لنا به . لن نقف له . لن نمد له يدا . هو في طريق ونحن في  
طريق آخر . ولا شراب له معنا . ولا طعام . وقرأ أفكارهم . ونظر

إليهم فامتلات قلوبهم بالحب له . وأقبلوا عليه يعتذرون . وفي الحقيقة الغزال في مدينة بنارس ألقى عليهم أول موعظة له وكانت : الوضوح والإعتدال والرحمة . هي حقيقة الصفاء والهدوء في هذه الحياة فلا تنسوها !

وقال لهم : أيها الرهبان . هناك حقيقتان يجب أن تبحثهما معا : متعة الحياة واحتقار الذات .

وقال : عليا أن تختار الطريق الوسط . ثم كيف نخلص أنفسنا من الألم الذي هو جوهر الحياة . فكل ما فيها ألم : الميلاد والشيخوخة . المرض والموت . الإفتراق عن الذين نحبه . وأساس كل ألم : هو التعطش إلى اللذة وإلى الحياة وإلى التغيير . والتخلص من الألم هو القضاء على كل هذه الرغبات .

وقال في موعظته الأولى : إنما جئت إليكم لأملأكم الجهل بالعلم . والمعرفة والفضيلة والعدل هي طيبات يجب ألا تفسدها . حطموا رغبتكم كما تحطم قبيلة كوخا من نقش . والرهبانة ليست علاجاً لها خديعة . فلإنسان الذي يتصور أنه يهرب من الحياة بالابتعاد . ليس راهباً . وإنما الراهب هو الذي يعيش بين الناس ويזהد في كل ما يراه . ويזהد في كل ما يرغب فيه . فالرهبانة هي ألا ترغب ما ترغب ، وألا تحب ما تحب !

وبدأ بوذا حياة الطواف التي استغرقت ٤٤ عاماً . ذهب وعدد . وطلع ونزل . ومن ورائه أتباعه .

وقد ضاق به أحد أقربه . وقيل أخوه في الرضاعة . فأتى له بفيل مخمور وأطلقه في المدينة . وراح الفيل يخيف الناس . حتى فرغت المدينة من الناس . وهجم الفيل على طفل صغير كاد يقتله . واقترب

منه بوذا قائلا : بل إنيهم أرسلوك لقتلي فأتارك هذا الطفل البريء .

وانحنى الفيل عند قدمي بوذا !

ويقول إن عددا من الناس جاءوا إليه وضربوا منه أن يريهم معجزاته .  
ومجأة شبت النار في نصفه السفلي . وهطت الأمطار من نصفه  
العلوي ، فأضاء ولم يحترق !

وتبعه أقربه وحيراته وآمنوا به . وخرج من المدينة إلى جبل . فرأى  
هناك قرد . وتلفت بوذا إلى أخيه في الرضعة وسأله : هل زوجتك  
أجمل من هذا القرد ؟

وغضب الأخ . ولم يشأ أن يجيب فحمله بوذا إلى السماء حيث  
ثلاثة وثلاثون إلها . وهناك رأى قصيرا فحما . وفي القصر رأى  
حوريات جميلات . قن له : بعد موتك سوف نكون منك لك ! .  
وقرر أخوه أن يموت لكي يرى ما هو أعظم .

ثم حمله بوذا إلى النار ورأى الغلايات الضخمة والتي سوف  
يوضع فيها جثاته لكي يتطهر من رغبته وشهوته . ولكن ذكرى  
زوجته الجميلة كانت تلاحقه . وبعد ذلك مات وكان من المقدسين !  
وفي هذه المدينة لم يجد طفل صغير شيئا يقدمه لبوذا . فعلا يديه  
بالتراب وقدمهم لبوذا . وأسعدته هذه الهدية . وهذا الطفل قد ولد  
مرة أخرى في جسم الامبراطور أشوكا الذي نشر البوذية بعد ذلك !  
ويقول إن أحد القردة قدم له هدية من غسل النحل . وفرح بها  
بوذا . وكانت فرحة قرد أكبر . حتى مات من شدة الفرح . وولد  
هذا القرد مرة أخرى في أحد أجساد الرهبان المقدسين !

وفي القرنين من عمره لم يعد بوذا قادر على أن يسند ظهره إلى  
الشجرة المقدسة ويتجه إلى الشرق .

وقرر أن يزور كل الأماكن المقدسة وأن يودع الأصدف، وحرر  
 بعد ذلك طعاماً لا يمكن هضمه . رُمي كان هذا هو عشاء الأخير .  
 ومات في كهف على شاطئ نهر ، حيث أخذ له أخوه سيريرد . وتعصب  
 لأشجار بالزهور والطيور وعزفت موسيقى سموية وسحبت كنيهاً عبيد .  
 وقبل أن تأخذه عيوبة طويلة صعد صحبته الأخيرة وقل لتلاميذه .  
 خلاصة حكمته : يا تلاميذي . كل مولود يموت . يجب أن يتفصل  
 الإنسان عن كل شيء وكل شخص يحبه . التفرق ضروري . لا تقموا  
 أندالم بعد لنا أستاذ . إذ ذهب الأستاذ فعنبدني أستاذكم . قوته  
 وكافحوا ولكن بلا غضب . بلا غضب !  
 بعدها مات .

وبعد تمنت المسيحية انتشرت في الهند . ونيوديون في عالم حوالي  
 ١٨٠ مليوناً . ( ٩٠٪ من أهل بورما ، و ٩٠٪ من أهل تايلاند .  
 و ٦٠٪ من أهل سيلان . و ٦٠٪ من اليابان و ١٧٪ من الصين .  
 والأقلية في الهند وباكستان وبنغلاديش : الهندوكية  
 والبودية . وفي أمريكا ١٨٠ ألف وفي أمريكا الجنوبية ١٦٠ ألف وفي  
 أوروبا ١٠ آلاف ) .

وأشهر الكتب التي نقل عنها حكمة بودا هو كتاب اسمه القصص  
 لحكم أو قطع الناس . ولا أحد يعرف إن كانت كل القواعد  
 المنكرية ونظريات الأخلاقية من عند بودا . ولكن حذافير الكثير  
 أضيف .

وبودا يضرب من الناس في كل العصور أن يقلبوا رغباتهم . وإذا  
 فلت الرغبة نقص الألم . وما يزال مثل طائر ينزع ريشه المرغبات  
 . شهوات والأحقاد ريشة ريشة ، حتى يصبح عرياناً من كل عريضة



ويصبح مجردا من طب الأشياء والتفكير فيه . هذا فقط يصل إلى حالة الثرؤن .. أي الذؤون في الصمت .. فلا شيء له صوت حملة . لا هو ينادي شيئا . ولا شيء يثيره أو يدعو له لأن يفعل شيئا أو يريد شيئا . هذه الحالة هي الكم المطلق . لأنها الاعدام المطلق . وهي أسمى درجات الوجود . حيث لا يشعر الإنسان بوجود شيء أو بوجوده هو ..

ويففها بوذا نفسه يقول : «حيث يكون مرض ، ولا أحد مريض . حيث تكون حركة ، ولا أحد يتحرك . حيث يكون طريق . ولا أحد يمشي فيه .. حيث تكون في الصمت التام . لأنك أحرصت كل صوت . حيث تكون في الظلام التام . لأنك أظفدت كل نار . أنت تستطيع أن تموت دون أن تدري .. إنها قمة تقسم . لأنك تواضعت واعتدلت ورحمت نفسك وعيرك ! وبعود إلى حوار مع أحد تلامذته :

- يا سيد ماذا تريد من الحياة ؟

- لا أريد الحياة .

- وماذا تريد من الموت ؟

- ولا أريد الموت .

- إذن ماذا تريد ؟

- لا أريد أن أريد شيئا !

- لماذا ؟

- لأن هذه هي السعادة .

- وما فائدة السعادة ؟

- إنها ثمرة لأشجار المعرفة والاعتدال والرحمة . ولأن السعادة من

يسعد ولا ألم غريزتنا . وأقدر الناس على أن يسعد نفسه أقدرهم على  
يسعد الناس

- حكمة أخرى : استاذ ؟

- ليس لك إلا هذا القدر ، فعانق قدرك وعش راضيا ومت  
وانت أكثر رضا !

## الانتصار على الحياة : دين !

لإنسان قدر على كل شيء . على كل معرفة . على كل هدية .  
على الجوع والشبع . والصحة ومرض . ولكن لتدريين عددهم  
قليل . وهذا قليل قدر على أن يقوم بدور الآفة لخير الإنسان .  
ولذلك لا داعي لوجود إله . أو آلهة !

هذه هي خلاصة الديانة الجينية . وهذه الديانة هي أحد فروع  
الديانة النوذية . والخيبة معمار الانتصار . وجيب هو المنتصر هو  
الفتح . أما المنتصر فهو على رغبات الجسم الإنساني وعلى الخوف  
من الموت . وهذه الديانة تقوم على الترهانية . فكل المؤمنين بها في  
العالم وعددهم مليونان أكثرهم في الموائى الهندية . يعيشون على  
البساطة أو الكفاف . وإذا أراد واحد منهم أن يموت فإنه يضرب عن  
نطعم أو عن الشرب . أما أن يقتل الإنسان نفسه وحرام . وحرام أيضا  
أن يقتل غيره من الناس والحيوانات والحشرات والنباتات .

لا يصح له أن يقتل حيوا . أو يأكل لحمه أو يشرب لبنه . وحرام  
عليه أن يقتل حشرة : نمة أو ذبابة . وحرام عليه أن يقطف زهرة  
أو وردة أو ورقة من شجرة لأن النباتات أيضا لها حياة . أو درجة من  
درجات الحياة وقد أراد الجيني - أو أتباع الديانة الجينية - أن

يقول أو يتبرز فيجب أن يذهب إلى أرض خراب . ويشترط أن تكون هذه الأرض خالية من الحياة . أي من حياة الحشرات . بل إن بعض الجينيين يضعون المنايل على أنوفهم حتى لا يؤدي تنفسهم إلى قتل الحشرات التي لا يرونها . وبعضهم إذا وجد النمل قدم له طعاماً وإن كنت هذه المدينة لا تنصح بذلك لأن الإنسان يجب ألا يملك أكثر مما يحتاج . فإذا أعطى النمل فيمكن ذلك من طعامه القليل . بل الأفضل ألا يملك الإنسان شيئاً . ولهذا يمشي عريان . وإذا أكل فليطبخ ذلك من غيره من الناس . أي يجب أن يتسول . فإذا تسول وأعطاه الناس من المديونات الأخرى . فلا يشكرهم على ذلك إذا أعطوه . ولا يبعثهم إذا رفضوا أن يعطوه .

ولكن مرة واحدة كل ثلاثين عاماً . يستخدم المؤمنون الذين في غسل أحد التماثيل المقدسة . وإن كانوا أيضاً لا يقدسون أحداً ولا يعبدون صنماً . ولذلك جاءت معبدهم فخمة أنيقة البوابات والأعمدة . وفيها تمثال واحد لرجل رقم ٢٤ في تسلسل «الأرواح السامية» أو «الأرواح الكاملة» هذا الرجل اسمه ماهفيرا (أي الرجل العظيم) . وقد عاش هذا الرجل على أيام بوذا . فقد ولد سنة ٥٩٩ ق . م .

وكانت ولادته - هو أيضاً - غريبة فقد كان في السماء . وعاش على هذه الأرض يهدي الناس عدد من الأرواح الكاملة بلغ عددهم ثمانية وعشرين . وهو الروح الرابع والعشرون . وعندما كان هذا الروح يحمل في السماء حزن على عذاب الإنسان وعلى حيرته ودوخته بين المذاهب والأديان . وبين المعابد الوثنية وبين أديرة الرهبان . وقل لنفسه : إذن لا بد أن أهبط ..

ويبدو أن سكان السماء قد فرحوا لذلك . وما كان من ماهفيرا



هذا إلا أن تسلل إلى بطن أحد الأميرات ودخل في الجنين الذي تحمله . وهو في الحين أقسم على نفسه أن يحقق الكمال . ثم انتقل من هذا الجنين إلى جنين آخر وأحست الأم والمولود لا يزال في بطنها أن شيئاً عظيماً سوف يقع قريباً ورأت في نومها إشارات عجيبة : رأت فيلاً وأسداً وشجرة وورداً وسحرة وأسداً وتوراً وقمرًا وشمسًا وحبلًا من النخس . وروى أحلامها على العلماء . فقلوا لها إن ولدك سوف يكون من أكبر العلماء .

وولد الطفل وعمت الدنيا بهجة رائعة . سماه أصححت كالبحيرة تعطت بأزهار النونس . والأرض اهتزت بالموسيقى والعداء . وعدس هذا الطفل ثلاثين عاماً . تزوج وأنحت له زوجته فتاة . وعدس بعد ذلك ١٢ عاماً في رهبانية مطلقة . وزهد وتأديب للحسم وفي نهاية العام الثاني عشر ذهب ماهغير إلى إحدى الأشجار المقدسة في أعلى أحد الجبال . وظل يسد ظهره لشجرة بومين وصفه . يتأمل وينكر تمتعاً عن الطعام وشراب عرياً لا يتحرك ولا يسمع شيئاً مما حوله . وفي نهاية أحسن نخلة في جسمه . ونشوة في قلبه . وصفه في عقده . ولتفت حوله الكائنات الكامة أو الأرواح الكاملة وراحوا يقولون : النصر . الانتصر .. لغرو .. إنهض فإن روحك قد كسبت لقد حققت البرقان - أي الكمال بالزهد التام عن رغبات الجسد وعن كل شهوات الحياة ومخاوفها .. إنهض !

وإنهض راهباً متجولاً صارخاً في الصحراء والنوديان يدعو الناس إلى الطهارة والزهد في كل شيء .. واستغرقت جولاته أربعين عاماً . - ووضح أن هناك تشابهاً بين حياته وحياة السيد بوذا . وكلاهما

رجل مقدس !

أما من هو الرجل المقدس الطاهر ؟

١ - هو الذي لا يأكل .

٢ - وهو الذي لا يملك ملبسه ولذلك يجب أن يصلي عريان .

٣ - أما المرأة فهي عذرة عن الخلاص من بدنها وشهواتها . ولذلك لا رهبانية للنساء . وهذا الرجل فقط فاحمد لسماء أن جعلت رجلا - كذلك كان يقول الفيلسوف الإغريقي أفلاطون وكذلك اليهود في صلواتهم اليومية .

والديانة الخبيثة هي أيضا ليست ه كتب مكتوبة . وإنما المؤمن بقوى تعاليمه شفوي غير مئات السنين . ولا أحد يعرف بالضبط كيف كانت أول الأمر . . . ولا ما الذي قلته رجلا وقد جمعت هذه التعاليم بعد ألف سنة من احتفاء ما هفيرا تم أحرقت بعد ذلك . وأعيد جمعها في منتصف القرن السابع عشر الميلادي .

ولكن من ثلث أن الروح الكامنة أو الروح السامي يجب أن تتوفر له عدة صفت أو قدرات لم يختلف عيب المؤمنون في كل العصور .

١ - القدرة على منع المجاعة في منطقة قطرها ٨٠٠ ميل . فالروح قادر على ذلك .

٢ - الروح الكامل هو الذي يستطيع إذا مشى أن يكون أعلى من الأرض . وإذا جلس أن يكون أعلى من الأرض .

٣ - يستطيع أن يتحدث إلى الإنسان من أي اتجاه - بوجهه وظهره وبجانبه . فلا يعرف أحد إذا تحدث إليه من أين تصدر أصواته وإشاراته وكيف يفهم وكيف يقنع الناس .

٤ - عنده مناعة ضد الألم والمرض .

- ٥ - عنده القدرة على تدمير كل قوة مدمرة في أي إنسان .
- ٦ - يستطيع أن يعيش بغير طعام .
- ٧ - قدر على أن يفعل أي شيء مهما كان صعباً - بوذا كان كذلك أيضاً .
- ٨ - لا ينمو له شعر ولا أظافر .
- ٩ - عيناه مفتوحتان دائماً ، كأنهما بلا أجفان .
- ١٠ - ليس لجسمه ظل .
- وهذا الروح الكامل عنده المعرفة الكاملة بكل شيء . والقوة المطلقة لفعل أي شيء وحرية المطلقة . والفهم المطلق .
- وشعر الروح الكامل لا تؤذ أحداً . لا حيواناً ولا إنساناً ولا نباتاً .
- وخذه الصفات الإلهية التي أعطوها للروح المطلقة . لم يكونوا في حاجة إلى إله . لأن بعض الناس عندهم هذه القدرات التي لا يتصف بها إلا إله - أو إلا الله !

ولكن هذه المدينة الجينية ليست على يقين من أشياء كثيرة في هذه الحياة . متى ما في هذه الدنيا يختلف من شخص إلى شخص . ومن سن إلى سن . وبين الجاهل والمتعلم . والفلاح والتاجر . والمريض والصحيح لذلك لا أحد على يقين من أي شيء . وإنما الأرواح المطلقة هي التي حققت يقين في كل شيء . هي وحدها . ويضربون لذلك مثلاً : فيلا تلف حوله ستة من العميان . كل واحد لمس منه جزءاً . والذي لمس أذن الفيل قال إنها مروحة يحملها شخص ما . والذي أمسك رجليه قال إن هذا عمود لأحد البيوت أو المعابد . والذي أمسك بذي الفيل قال إن هذا جرم من حبل . وكل واحد منهم على حق . مد ؟ لأنه أمسك جزءاً من الحقيقة . ولم يمس الحقيقة كلها .

فقط الروح الحكمة هي التي رأت قليل كنه . وهي التي عرفت أن كل واحد من العيين الستة لا يعرف هذه الحقيقة . وإنما يعرف جزء منها .. وكل الناس لا يعرفون من الحقيقة إلا أجزاء . أما الروح الكامل فهو وحده الذي قد أدرك الحقيقة كنهها . كأنه إله .. أو هو إله .

وإذا كان بعض الناس قد تمسك بالحياة ، فلأنه لا يعرف الحياة . ولا يعرف حقيقة الإنسان ولا نهاية الحياة ولا طول الرحلة التي سوف يقطعها حتى القبر . إنه لا يعرف . ولو عرف لترك الحياة . إن ماهفيرا نفسه قد كان غنيا . وقد بزل عن ثروته للفقراء كما فعل بوذا وكما فعل أديب روسيا تولستوي .

وكان ماهفيرا هذا قد عرف أن ديانتة هذه سوف تدخنها الخرافات فيما بعد . ولذلك فقد طُلب من المؤمنين ألا يعددوه . لا هو ولا غيره . وإنما فقط أن يتذكروه وإذا كان تذكره صعبا فلا مانع من أن يصنعوا له تمثالا . فإذا أرادوا الصلاة . فيجمعون التمثال وراءهم . لأنه ليس إلهها . وإنما هو رجل حكيم فقط .. وقد حدث بعد ذلك أن امتلأت المعابد تماثيله . وفي كل يوم ٨ أغسطس يذهب الحجاج إلى مدنتهم المقدسة . ويقفون يكون أمام تمثاله . ويتمسحون فيه . ويقول بعض رجال الديانة الجينية إن شيئا غريبا قد حدث لهذا التمثال . لقد ظهرت على وجهه تسامة ساخرة من الناس . لقد كان ماهفيرا يرى أن الرجل المقدس هو الذي يتنزه عن الضحك والسكاء . والتعبير عن شيء . لأن الذي يعبر عن شيء هو الذي أحس به واهتز له أو ضده . والمقدس لا يهز شيء . ولذلك يجب ألا يبدو على التمثال أية علامات تدل على حالة غير : الرضا والصفاء ..

ويقول ماهفيرا بصور معنى لديها كتبها . من وجهت نظر كل الناس ..

- ١- ربما كان البحر موجوداً .
  - ٢- ربما كان غير موجود .
  - ٣- ربما لا يمكن التعبير عنه .
  - ٤- ربما يكون موجوداً ولا يمكن التعبير عنه .
  - ٥- ربما لا يكون موجوداً ، ولا يمكن التعبير عنه .
  - ٦- ربما يكون موجوداً أو غير موجود ويمكن أو لا يمكن التعبير عنه .
- فكل معيومات أو المفهومات أو تقيم الإنسانية نسبية . ولا أحد على يقين من شيء . ولذلك احتاج الناس إلى اليقين . واليقين هو الروح الكامل . وهو الهادي والهداية . وهو النصر والنصر . وهو الغزي والغزو . وهو الروح الذي انتصر على جسمه . وهو الجسم الذي أطاع الروح .. وعلى الناس أن يفعلوا كذلك أن يمشوا وراءه بغير قيد أو شرط .. ولتقيود عقبة وشروط معانها أن يرفع الإنسان صبعه يعترض على الروح الكامل . وهذا هو الكفر . أو هذا هو الجهل . وكلاهما يفتن في طريق أي إنسان أن يكون روحاً كاملاً . ولا أحد يعرف بالضبط متى يكون ذلك . ولكن هذا محتمل الوقوع في أي وقت .. وفي أية مرحلة من مراحل العمر . إن ماهفيرا نفسه . قد سبي في وقت من الأوقات أين كان ومذا هو كائن . ولكن فجأة قيل له : أنت النصر والنصر . أنت القدرة والقادر . أنت الرجل الرابع والعشرون . فنهض فالتاس أغذمك وأنت راعبها ..
- وما من صاحب رسالة أو دعوة أو فلسفة أو دين أو حزب إلا وجد له عدد من الكافرين به المحطمين لروحهم المعنوية . وهي فرصة للرجل



لعظيم أن يست لناس أنه عظيم فقد اعترض طريق ماهفيرا عدد من  
الكفرة . وقد ارتدوا ثيابا فخمة . وأمسكوا بقرعة مذمومة . وحملوا  
سيوف دامية . وجلست معهم النساء تأكل وتشرب وترقص . قالوا له :  
ألا ترى أن الذي نفعه أحسن وأمتع من الذي تضره من كل الناس ..  
نظر إلى ملاسدا وإلى بثرنتك .. وإلى عظامك التي تكاد تمزق جندك ..  
وإلى ما تأكله . وما تأكله .. أظن إلى النساء الجميلات معنا . وإلى  
الرجال المحطمين الجائعين المنهارين الذين معك !

وقل ماهفيرا : بل من أجل هذا كرهت مثل هذه الحياة . لقد  
كنت أميراً عيباً . ودست على كل شيء . وكل حكم وكل لون . وكل  
لذة .

فقام أحد الكفرة وصنعه على وجهه وقال له ماهفيرا : هل أحست  
بذلك بشيء ؟

فقال الرجل : لا .

— لماذا ؟

— لا أعرف ..

— لأنني روح بلا جسم . حاول مرة أخرى .

وقد أرحل وحاول أن يقطع عنقه بالسيف . تحرك السيف من  
جانب إلى جانب .. ولكن رأس ماهفيرا لم يسقط .

فقال له ماهفيرا : كيف تعبر عن هذا الذي حدث ؟

— لا أعرف .

— أنا أقول لك .. أن أقوى منك بجوعي وعطشي وعربي .. فكس.

أكل الإنسان أصبح أضعف . وكلمة شرب أصبح أوهن . وكسما  
ليس كان أكثر تأثرا بالحر والبرد ..

وضرب كافر آخر من إحدى الفتيات أن تتعري تماماً . وتعرت  
ثم . وكانت حسيبة رشيقة . وقال له : ألا يحرك فيك هذا أي شيء .  
فقال ماهفيرا : ولا في أحد من رجالك ، أسألهم ما الذي يرونه  
لأن .

فقال واحد منهم : هذا فيل .

وقال آخر : هذا ثور .

وقال ثالث : هذه أمي .

وقال رابع : بل هذا أنت .

وكان يشير إلى الكافر الذي أمر الفتاة أن تتعري .

واندهش كافر وقال : بل هذه أجمل فتيت في هند .. هل

جنتم .. هل ضحك عليكم ؟

وصرخ فيه الناس : أنظر .. أنظر .

ونظروا جميعاً فوجدوا ماهفيرا يمشي فوق الأرض .. وكانت

قدماه فوق رؤوس الجميع ..

وخرّوا ساجدين .. موتى !

## كونفوشيوس مُتدين ليس له دين !

من مصاح هذا الرجل : دُعَ لأمير أميراً . ولابن ابنه . ولأب أباً . فكل واحد له طبيعة وله حدود .

ويقول : ارادة الله هي طبيعة الإنسان . والذي يسلكه إلى هذه الطبيعة اسمه الطريق . والذي يخضعه قدارين على السير في هذا الطريق هو التعميم والتربية . ولذلك يجب ألا نبتعد عن الطريق لحظة واحدة ! « أينما ذهب ، فخذ قلبك معك ! » .

« أكبر غلطة أن تكون هناك غلطة ولا تصلحها ! »

ويقول : ألا تتصور نفسك كبيراً جداً . حتى لا يصح لك صغارا جداً ! »

وهذه النصيحة لطيفة : ألا تعرف شيئاً وتعرف ذلك . هذه معرفة جديدة ! »

وهذا المصاح من ألوف السنين هو فيلسوف نصيبي كونفوشيوس . الذي ولد سنة ٥٥١ ق . م . ومات بعد ذلك بثلاث وسعين سنة . وعلى الرغم من أن هذا الرجل ليس صاحب ديانة فقد كانت تعاليمه ديانة عاشت به . وربما كان هذا الرجل أسبق من عصره بألفي سنة . فهو رجل متدين . ولكن ليس له دين . فهو يفعل ، انضبط ما ينبغي

كل نفس متدينين : فهو رجل على خلق كبير . حياته معتدلة .  
وهو لا يضرب من أحد ألا يكون مهذباً في حياته . وأن يكون طيباً  
مع الآخرين ليس له إله . وهو نفسه لم يدع الأئوهية . وإن كان  
تلامذته قد نصبوه إلهاً بعد وفاته .

وكونوشيهوس من أسرة غنية . ولكنه لم يكن غنياً . وعندما حمت  
فيه أمه كانت تنظر إلى أحد الجدل أو التلأل . ولذلك القى بالثل .  
ويقال به سمي ثل . لأن في رأسه بروزاً غير عادي . ثم انه كان  
مفرط الطول . وقد درس تديانات السابقة عليه . واستنكر الكثير  
منها . وفي نفس الوقت اختار ما يقدر على فهمه . وقد اختار موضوعاً  
واحداً هو : الإنسان . كيف يعيش . كيف يعلم نفسه . كيف  
يكون نموذجاً لغيره . كيف أن الأسرة واحدة يجب أن تكون مثلاً  
أعلى للمجتمع الصيني كله . ورتما كانت هذه أصعب النظريات  
التي طالب بتطبيقها . ولأسرة الصينية متأسكة لأفراد ومنطوية على  
نفسها . وهو عندما طالب الأسرة أن تفتح بعضها على بعض .. وتبدأ  
دائماً لانتقال العدوى الأخلاقية إليها . كان يطالب المستحيل . أو  
شيئاً قريباً منه . ولذلك سافر من مكان إلى مكان يطالب بأن يعطيه  
أحد الأمراء الحرية الكاملة في أن يبني مدينة مثالية . يختار أهلها .  
ويختار سكنها . ويضع نظمها في الحياة والأكل والشرب ولتوم  
ولسير في الشارع . ويعلمهم كيف يشكرون بعضهم البعض . وكيف  
يفرحون وكيف يحزنون . وكيف لا يشغون أنفسهم بالأرواح بعد  
الموت . ولا بما بعد الموت . فلا أرواح طيبة أو شريرة .. ولا داعي  
لأن يسكي الناس طويلاً على موتهم . ولا داعي لأن يقدموا القرابين  
إلى أجدادهم .. ولا أن يحزنوا على الميت ثلاث سنوات !

وهذا الرجل كونفوشيوس كان مثل الفيلسوف الإغريقي أفلاطون .  
هو أيضا أراد أن يؤمن به ولو أمير واحد . فإذا آمن به أقنعه بأن يعطيه  
مدينة ليجعلها فاضلة أو مثالية . وأفلاطون وجد من يعطيه جزيرة  
ليطلق عليها « مدينة الفاضلة » أو « جمهوريته المثالية » .. ولم ينجح  
صاحب الفلسفة في أن يكون صاحب سياسة عمليا . وبذلك تعيش  
مشكلة الأجيال كما هي : كل فيلسوف يريد أن يكون ملكاً . وكل  
ملك يريد أن يكون فيلسوفاً .

وظل كونفوشيوس فيلسوفاً يبحث عن الذي يجعله ملكاً أو أميراً .  
وكونفوشيوس مثل الفيلسوف العظيم سقراط . لم يكتب سطراً واحداً  
في حياته . ولكن الأجيال تنقلت أحاديثه ونصائحه ومحاوراته مع  
تلامذته في أربعة كتب : التقاويم . والسجلات . والأغاني .  
والمحاورات . وقد قدر هذه الكتب جميعاً أن تحرق . ولكن الكونفوشية  
لم تنشر بعد ذلك إلا بعد أن آمن بها أحد الأباطرة . تماماً كما حدث  
للديانة المسيحية !

وأول ما قاله كونفوشيوس : إن السماء لا تتكلم !  
وكانت الديانات قبله تجعل السماء نسخة من الأرض . فيها ملوك  
وأباطرة وفيها وزراء ومديرون . وكل ملك - أو إله - يسكن في قصر  
مستقلاً عن الآخرين . وكل الموظفين يرفعون تقارير يومية إلى  
رؤسائهم . والرؤساء يرفعونها إلى الوزراء . والوزراء إلى الملوك .  
والملوك إلى الامبراطور . أو ملك السماء . أو الملك السماء . وملك السماء  
هذا قد خلق الإنسان من طين ولكن الطين وهو في طريقه إلى الأرض  
تعصف به الرياح أو تذيبه الأمطار . فيخرج من ذلك كل الناس  
الضعفاء والمرضى . والسماء نفسها تسع طبقات ويقال تسع وثلاثون



صفه . ولكن ليس على الإنسان أن يفكر في ذلك يجب أن يشغل  
عقله بديار الإنسان نفسه . فهو الحقيقة المؤكدة التي يلتمسها . أما الله .  
ولقدرة الموت والأرواح والآلهة . فهي أكبر من عقل الإنسان . ولذلك  
يجب ألا يتعب نفسه في فهمها . وعبره كذلك .. الإنسان هو أهم  
ما يجب أن يهتم به الإنسان نفسه !

وهذه المعاني يكون كونفوشيوس قد سبق عصره بألف السنين .  
ففي العصور الحديثة اتجه بعض الفلاسفة إلى : الطبيعة .. وإلى  
الإنسان .. وأنكروا أن يكون هناك شيء وراء الطبيعة . وشيء بعد  
الإنسان أو قبله أو وراءه ..

وعندما ولد كونفوشيوس مات أبوه ولم تشأ أمه أن تخبره بالمكان  
الذي دفن فيه . ولم مات أمه . هداها بعض الناس إلى المكان الذي  
دفن فيه أبوه فدفن ولديه في مكان واحد . ولم يشأ أن يحزن على أمه  
ثلاث سنوات كما تقضي تقاليد الصينية القديمة . ولم سأل أحد  
قريبه قول : أنت تحب هذا الحمل الذي سوف تذبحه . أما أن  
وأفضل طريقة لذبح وطريقة وضعه على الأرض ليس الشيء .  
ولكن أسلوب تناوله هو الذي يشغلني !

.. وفي أواخر أيام حياته رأى كونفوشيوس عبيد أن الناس يمشون  
بنظام في الشارع . على الجانبين ولا يمشون وسط الشارع . ورأى الناس  
يدخلون بيوتهم بنظام . ويخسبون إلى الطعام بنظام . ورأى طفلاً صغيراً  
عند عصا إلى والده لكي يضربه . فقال كونفوشيوس لتلاميذه :  
لأن يمكنني أن أموت !

قل له : يا معلم ما الذي تشبهه الآن !  
قال : أشبه كلباً حزيناً في بيت به ميت !

فقيل له : ولماذا ؟

قال : لأنني لم أحقق شيئاً مما حلمت به . إن أحداً لا يدري بي  
على الأرض . وسوف موت دون أن يعرفني أحد . دون أن يذكرني  
دون أن يشعر بالإمتنان لي أي أحد .  
فقيل له : السماء تعرف .

قال : هذا صحيح السماء هي التي تعرف ترى في صمت ولكن  
الذي يهمني هو الناس . إن السماء قد أرسلت قبلي وسوف ترسل معدي  
أولاً من الناس .

قيل له : ألا يكتفيك أنك شعرت بالسعادة لأنك قلت ما عندك  
ولأن لك حوارين من الفقراء والأغنياء ؟

قال : الأغنياء أهم . لأنهم يملكون السلطة .. والقدرة على تغيير  
نفس ولكن الفقراء لا يتمكنون إلا أكثرتهم . وإذا حاولوا أن يغيروا  
الأمراء قتلوه ولا أريد قتل . أريد أن أعلم الكبار لأعبر بهم  
لصغار . ولكن أين هم الكبار إنني لا أرى إلا صغارا من الأمراء .  
وصغارا جدا من الفقراء .

وعندما جلس كوثوشيوست تحت إحدى الأشجار برز له رجل  
غريب قال له : إن كنت معينا حقاً فما الذي تقوله لي وأنت لا  
تعرفني ؟

فقال : هناك ما أقوله لك لأنني أعرفك .. وهناك ما أقوله لك  
لأنني لا أعرفك .. وأنت إنسان لا شك في ذلك . وأضحك يا إنسان  
ألا تعصي والدك .. وأنت يا هذا الشخص الذي لا أعرفه أضحك  
.. تكون إنسان . وأنت إذ أخضعت لنفسك وطبيعتك فلا خوف  
عليك . ثم انت آله وإنما أنت إنسان حي . ولذلك تخوف

وتمرد وتقدم وبدحك لغرور وتحتج إلى صبر مع الناس . ونس  
في حاجة إلى صبر عليك !

وقال كونفوشيوس : إن الحكمة تحرك من الشك ، والأخلاق  
تحرك من الألم ، والصمود يحرك من الخوف !

وعندما توفي أحد تلامذته بكى عليه وخرج بعد لحظات من بيته .  
فقال له تلامذته : كنت هربت منه . فأجاب كونفوشيوس : لم  
أهرب منه ، لأنه لم يعد هناك . فلا حياة بعد ذلك !

وسأله أحد رجال الديانة البوذية : يا معلم كونفوشيوس ما دينك ؟  
قال : لا دين لي ..

قال : ما كتابك ؟

.. لا كتاب .

.. ما صلواتك ؟

.. لا صلوات ..

.. ما الذي تدعو إليه إذن !

.. أن يكون الإنسان إنساناً ، لا حيواناً ولا إلهاً !

.. وأنت إنسان ؟

.. نعم إنسان يذكر الإنسان بأنه إنسان !

.. ألا يعني ذلك أنك إله ؟

.. بل إنسان فقط .

وعلى الحدود بين بعض إمارات نصيب وقف كونفوشيوس عند نهج

صغير . ورأى ظله في الماء وقال : هل تعرفون ماذا أرى ؟

قالوا : صورتك في الماء ..

قال : لا .. بل كلانا صورة زائلة .. أنا على الماء كما أنا على الأرض : زائل .. زائل !

وكان من عدة كونفوشيوس أن يجلس إلى زملائه ويطلب إليهم :  
أن يقلبوا النار حتى لا تحمد !

وكان يعني هذا التعبير أن يسأود لعمه يفكر هم أو معهم .. وكان يقول هم : تعلم أدركوا النار قبل أن تنطفيء ، أدركوا طبيعتي قبل أن تنطفئ بطائعكم .

سأله أحد تلامذته : يا معلم من هم الثلاثة الذين لا تحب أن تراهم ؟

قال : أنتم ثلاثة . لا أحب أن أراكم . وأنتم ثلاثة أحب أن أراكم .

فقالوا له : كيف ؟

قال : لا أحب أن أراكم مشغولين عن لسان بأي شيء آخر .  
وأحب أن أراكم مشغولين عن إنسايتكم بإسانية الآخرين ..  
ثم قال : ثلاثة لا أحب أن أراهم . من يتوجه إلى السماء دون احترام . ومن يمتشي في حماسة دون حزن . ومن يشغل منصباً كبيراً ويكون عبداً لمنصبه . لا أحب أن أراهم ولا أن ألقاهم .. ولا أن يكون واحد منكم منهم اليوم أو غداً !

وظل كونفوشيوس ينتقل من أمير إلى أمير . ومن ممكة إلى مملكة يضرب شيئاً واحداً : أن يستمع إليه الناس .. الأمراء أولاً .. والشعب ثانياً . أو لا يهم أن يسمعه شعب فلا أمراء قادرين على تغيير مسار الناس ، وهو قادر على إقناع الجميع .

وأشهر المحاور التي سجلتها له كتب كونفوشيوس هي التي

كنت بينه وبين أحد الأمراء . قل له : يا معلم لماذا لا تستريح بعد  
هذا الدوران حول كل القصور ؟

- لا تهمني القصور . ولكن سكانها .

- إن سكان القصور من الأمراء والأميرات والعشاق والعشيقات

والذهب والرقص والموسيقى ..

- بل تعنيني الموسيقى فقط .

- لماذا يا معلم ؟

- لأن موسيقى قادرة على تهذيب المتشعر .. وهي قادرة على أن

تحقق للإنسان من الجسم وطبيعته .. وموسيقى هي أسلوبي في تحقيق  
السلام في الإنسان وبين الناس .

- ولكن موسيقى تدعو إلى الرقص وإلى شرب وإلى الاستعرق

في الملذات وأنت تعرفها ..

- هذا بالضبط تهمني الموسيقى .. لأنها قوية وقادرة على تحويل

الإنسان إلى حيوان وحيوان إلى إنسان .. هذا يهمني أن أمسك به  
وأوقف الناس عند بابيتهم فقط .. إن الريح تلعب على أوراق الشجر

كما تلعب الأيدي على أوتار القيثارة .. وإن الماء يلعب بالحصى في

النهر كما يلعب المحب الودان بشعر حبيبته .. وكما تلعب النجوم

بأمواج البحر . هذا أحب الموسيقى وأريد أن يسكت الناس بعض

الوقت ويتكلموا موسيقياً !

- ولكن يا معلم أنت تطلب المستحيل .

- نعم أنا أطلب المستحيل لأجعله ممكناً . وهو ممكن .

- لم أر أحداً كذلك .

- بل أمامك هذا الأحد ..



- أنت فقط .
- ومن بعدي سيكون الألف .. ولو تحولت انت إلى واحد متي .
- لتبعك الألف دون تفكير ..
- وأنت تريد أن تمشي بلا تفكير .
- نعم أول الأمر .. وبعد ذلك أجعلهم يمشون عن إيمان بطبيعتهم الإنسانية .
- وما الفائدة ؟
- ألا يكون حول قصرك حراس .. وألا يكون على حدودك حراس .. وألا يكون في بلاطك منافقون وتجدر ذمم . وألا تكون أنت متربصاً بأخيك المريض .
- ولكنه سوف يموت .. وأنا أخشى على عرش أخي .
- لن يموت الآن فلا تشغل نفسك بهذا العرش ..
- من قال لك ؟
- أنا أعرف . وقد رأيته اليوم . وهو في صحة أحسن من صحتك .
- وقلبه يضرب الدم ، كما يضرب ينبوع ماءه عالياً .
- أنت كذاب ..
- صدقت . كنت أتوقع ذلك . فأنت لست إنساناً . وإنما أنت حيوان شرس يريد أن يوهم الناس بشيء آخر .
- آسف على هذه العبارة النابية .
- لو لم تقلها لاندعشت . بل يجب أن تقولها ليتكبد للناس الفرق بين أخيك وبينك .
- ولكن أين هم الناس ؟ إننا وحدنا .
- من قال ذلك ؟ أنظر وراءك ..

ونظر الأمير وراءه فوجد ألوف الناس قد انحنت رؤوسها حزناً على أخيه المريض . وضيقاً به .. وررع الأمير عند قدمي كونفوشيوس .. وانحنى كل الدس . وهنا قال كونفوشيوس : هذا ما أريد .. أيها الناس !

وانتبه إلى الجماهير بشرح لها من جديد ما الذي يراه في حياة الإنسان على هذه الأرض . وما الذي يتمنى أن يراه في الناس وبين الناس من أجل الناس في العدم ولأجيال القادمة التي تعيش في سلام ومن أجل السلام .. بشرط أن يتم كل شيء بينهم بالذوق وبحسن السلوك . فهذه هي الحياة الحقة : قواعد وأصول وسلوك ومعاملة يلتزم بها الجميع فإذا فعلوا فلا خوف على أحد من أحد !

وهو على فراش المرض الأخير تلفت إلى تلامذته ليقول لهم : عندما كنت في الخامسة عشرة بدأ عقلي يدرس كل ما حولي وما في نفسي . وفي الثلاثين بدأت أراقب شخصيتي وهي تتكون . وفي الأربعين وضحت الرؤية أمامي . ولم أعد قلقاً ولا مضطرباً . وفي الخمسين عرفت ما الذي توحى به السماء إلى كل إنسان . أن يكون إنساناً فقط ولا يشغل نفسه بما عدا ذلك . وفي الستين أصبحت أهدأ وأكثر مرونة في معاملة الناس . وفي السبعين استطعت أن أمشي وراء قلبي دون أن أعدو على أحد . ودون أن يعتدي على أحد .. ولم يعد بعد ذلك ما أقوله أو ما أفعله . وأنتم تعرفون في هذا المكان هناك وراء الشجرة ادفنوني وانسوني أنا . وعليكم بتعاليمي .. فهي أطول مني عمراً لأن العمر الحقيقي للإنسان هو أن تكون هناك إنسانية ..

ومات . ودفنه تلامذته . وبكوا عليه ثلاث سنوات . وذبخوا الضحايا على رأسه وعند قدميه . وأقاموا معبداً . ووضعوا له تمثالاً .

وداروا حوله واخترعوا طقوساً أخرى ، وصلوات لم يقل بها .. وجعلوه  
إلهاً . ولم يكن كذلك .. ولا قال إنه إله . أو حتى صاحب دين .  
وإنما صاحب سلوك من أجل أن يكون الناس في غاية الأدب مع  
الأحياء . وغاية الإيجاز في بكاء الموتى والترحم عليهم . لأن الحي  
كما يقول كونفوشيوس هو الموجود ، أما الميت والموتى فهم العدم !

## ثور أخضر في طريق طويل ..

ما الذي تريده من حياتك ؟ ما الذي تريده الحياة منك ؟ ماذا تقول لأبيك وأمك ووليك ؟ إذا كانت حياتك على الأرض طيبة ، فهل تشغل نفسك بالسما ؟ وإذا انشغلت بالسما عن الأرض فمن أنت ؟ وإذا وجدت رجلاً عاقلاً يكرهه الناس فماذا تقول ؟ وإذا وجدت أبلاً ساذحاً يحبه الناس فهل تشك في الحكمة وطلب الحكمة ؟ ألا تسأل نفسك وما الذي يحبه الناس في الناس ؟ وأهم من هذا كله : هذا العناء هذا العذاب ، هذا الخوف من المرض ومن الفقر ومن القدر ومن الموت ما معناه ؟ إن الموت حقيقة ، فماذا نخاف الحقيقة ؟ إذن ما الذي يخيف الناس من الموت ؟ ربما لأنه حقيقة نريد أن ننساها . أو أنه يجيء فجأة فيقطعنا عن الناس وعن الحياة . ولكن إذا جعلنا حياتنا أقرب إلى الموت ، فهل نخاف الموت ونبكي على الحياة ؟

كل هذه الأسئلة أغرقت الفيلسوف الصيني لاو - تسو ومعناه الأستاذ الكبير . أو الشيخ الفيلسوف . وكان هذا الرجل فيلسوفاً شاعراً . عميقاً رائع العبارة بھر المعنى . جديداً . وغامضاً في نفس الوقت . اشتغل الشيخ الفيلسوف موظفاً في قصر الملك . أمياً لمكتبته . يقرأ

ويفكر . ويفكر انه قرا عشرين ألفا من كتب قديمة . ومدت  
الألوف من المخطوطات النادرة . وكان لا يتكلم إذا قرأ . لا يكلم  
أحدا . ولا يرد على أحد إذا سأل . ويقال إنه في إحدى المرات اقترب  
منه بعض الموظفين الصرخين . وأوق من استغراقه . ليحد النار قد  
أحرقت ثوبه . ويقال إنه لم يشعر بذلك . وفي إحدى المرات خرج  
يبتزه إلى جوار قصر الملك . ووقف أمام شجرة يحول أن يتفادها فلم  
يستطع . وإنما ظل واقفاً أمام الشجرة يدفعها بيديه لعلها تفسح له  
الطريق . وأحياناً يدفعها كأنها باب بيت . وتجمع الناس حوله  
ثم سحوه بعيداً عنها . ليقف أمام شجرة أخرى حتى الصباح !

وكان لاوتسو معصراً لكونفوشيوس وانتقى الإثنان في أحد الأيام  
وكان كل منهما يعرف قدر الآخر . ويعرف أنه مختلف عنه . وإن  
كان الهدف واحداً . كونفوشيوس : يريد أن تكون الحياة هي  
الرجولة والصلابة . وأن يكون الإنسان أقوى من الحياة . ويكون  
الإنسان أسمى من رعايته . ليعيش سامياً ويموت أكثر سمواً . يقال  
إن كونفوشيوس سأل : وبعد هذه القراءة الطويلة المركزة ؟

وكان رد لاوتسو : لا شيء بعد ذلك . فأننا قرأت . وفهمت .  
وعنيت . وسوف أعود إلى تأمل ما قرأت . ويرى الناس من حولي  
كيف كنت حياتي وأصحت . ودون أن أقول لهم شيئاً سوف  
يتغيرون .

وافترق الرجلان دون أن يفهم هل اتفقا ؟ هل اختلفا ؟ هل  
سيبتقيان في أي أرض بعد ذلك . لم يلتق الرجلان في أي أرض أو  
في أي طريق إلى الهدف الواحد !

ومن الغريب أن لاوتسو ملحد . ولكن تعاليمه ودينه تحولت



إلى ديانة خرافية . فقد عبده هو . وعبدوا معه إمبراطورا صغيرا  
لا وجود له . ودخلت ديانة هذا الرجل في الدجل والشعوذة والتنجيم  
والعلاج الروحي والوثنية وإطالة العمر وإعدادة الشرب . واستخدام  
السحر . لقد أصبحت دينا وثنيا أو متعدد الآلهة . بعد أن كنت  
فلسفة مجردة ملحدة .

(وشيء من ذلك حدث في الغرب أكثر من مرة بعد ذلك .  
والفلسفة الروحية لهيجل أصبحت الأساس الأول للماركسية مادية  
الملحدة . واعتمدت عليها الفلسفة الوحدوية الملحدة والوجودية المؤمنة ) .  
ومن الأسماء التي اتخذتها فلسفة لاوتسو بعد ذلك بعدة قرون سم  
ديانة «وو - واي» أي اللا فعل . أو الإمتناع عن عمل شيء . لأن  
كل عمل شر . والخير هو ألا يعمل الإنسان شيئا وإنما ينطوي على  
نفسه ويضم أطرافه بعضها إلى بعض ويجلس في هدوء . لا يضر أحدا  
ولا يغوي أحدا بأن يتحرش به .

ومن الكتب المقدسة لفلسفة لاوتسو كتاب عنوانه «الطريق ومراياه»  
في خمسة آلاف كلمة وواحد وثمانين فصلا . وقد ترجم هذا الكتاب  
أربعين مرة إلى الانجليزية وحدها .

وقد عاش لاوتسو في القرن السادس قبل الميلاد . ولكن الذي جرى  
على فلسفته في القرون التالية . قد جعله هو لا يستطيع أن يعرف  
فلسفته إذا قدر له أن يعيش مرة أخرى . إنها شيء أو أشياء أخرى  
خرافية ، ولم تعد فلسفية منطقية .

وفلسفة لاوتسو أو دينته اسمها «التوية» - أي فلسفة الطريق أو  
الديانة الطريقية أو الطرائقية . أو فلسفة : الطريق حياة . والحياة  
طريق

ولكي نفهم فلسفة الطريق أو ديانة الطريق يجب أن نعود إلى  
المقطوعات الفلسفية الحميمة حد التي كتبها لاوتسو . وهو يظن أن  
حواريه سيفهمونها بمجرد أن يستمعوا إليها منه .  
مثلاً يقول :

عندما نعرف الجمال كجمال فإننا في نفس الوقت نعرف القبح  
وعندما نعرفون الخير كخير فإنهم يعرفون الشر أيضاً . فالوجود  
واللاوجود كلاهما يخلق الآخر .

الوجه والظهر متلازمان .

الجبهة والقفا متلازمان .

السماء والأرض متلازمان .

الرجل الحكيم هو الذي يجعل نفسه في المؤخرة ليكون في المقدمة ..  
وينصح لاوتسو كل إنسان : أن يهدأ ويتأمل ويتعمق ، وبعد  
ذلك سوف يصبح كل شيء ملكاً لك !

والمعنى الذي يريد أن يفهمه هو أنه إذا قتلت عن شيء إنه جميل  
لأنه دقيق الملامح متناسب القياسات . جميل العينين جميل الشعر  
طويل القامة . ففي نفس الوقت عرفنا مقاييسك للجمال وعرفنا  
بالضبط ما الذي يعجبك دون أن تقول أنت . وإذا قتلت عن إنسان  
إنه طيب لأنه بار بوالديه ، عطف على إخوته . وأمين على زوجته .  
فإننا نكون قد عرفنا مفهوم الإنسان الشرير .. أي العاق لوالديه .  
القاسي على إخوته ، الخائن لزوجته ..

وحبث يكون وجهه . يكون في الذخيرة الأخرى قفا .. فاليسار  
واليمين متلازمان ، والشمال والجنوب متلازمان .

أي أن كل الأضداد موجودة معاً : فإذا قتلت إنساناً مات .

قلت في نفس الوقت إنه مات لأنه كان حياً ، ولأنه ولد قبل ذلك بسنوات .

وفي كل لحظة يفعل الإنسان شيئاً طيباً ، فإنه يمتنع عن فعل شيء آخر شرير وفي كل لحظة نقول نعم .. نكون قد قلنا لا .. دون أن نطقها . وإذا قيل لك مثلاً : ما هي أحب فكهة لك ؟ وكان جوابك : تفاح .. كان معنى ذلك أنك تفضله على كل أنواع الفكهة الأخرى . فأنت قلت نعم للتفاح ، وفي نفس الوقت قلت : لا .. لكل الفواكه الأخرى .

والمعنى الأعمق من هذا كله : أن الإنسان عليه أن يختار في كل لحظة الأحسن والأرفع والأنفع والأفضل والأبقى . وليس عليك إلا أن تختار الأهدأ والمريح مرة واحدة . وبعد ذلك يمكنك أن تمضي في سلسلة الاختيار إلى ما لا نهاية له . وبذلك تكون إنساناً طيباً بصورة نهائية .

وهذا هو الطريق إلى الحياة الأفضل . والطريق نفسه حياة . أي أن هناك طريقاً إلى حياة . وأن الطريق نفسه حياة . مثلاً : إذا ركبت سيارة متجهاً إلى الاسكندرية . فإن كنت سائقاً . فأنت لا ترى إلا الطريق نفسه .. مساحة طويلة بها سيارات تحاول أن تتفادها . وأنت كسائق لا تجد في الطريق متعة .. ولكن إذا كنت راكباً في استطاعتك أن تتلفت يميناً وشمالاً وتستمتع بالأشجار والهواء المنعش وتزأج الألوان عند الشروق والغروب . ولطريق بالنسبة لك حياة .. وأنت والسائق تجلسان في مقعد واحد . هو يريد أن يفرغ من هذا الطريق ، وأنت تستمتع بالطريق .

والإنسان عادة يبدأ بأن يريد المشي في طريق حتى ينتهي منه .

وبعد ذلك نجد في الطريق متعة ، وهذا هو الكمال عند «ديانة الطريق» .

وأهم من ذلك كله أن تكون أنت طريقاً .. أي نموذجاً يمشي وراءه أو على نمطه الناس جميعاً .. فحياتك طريق للآخرين .. وأنت نموذج عملي لكل الناس ..

فأنت إذن مشيت في الطريق . ثم استمتعت بالطريق وامتشي فيه . لتصبح أنت الطريق الحيوي والنموذج الرفيع لكل الناس . فإذا كان الناس جميعاً كذلك . فهذه هي الديانة الحقة وليس من شأن الإنسان أن يفكر إلى أبعد من ذلك . فلا هو قادر . ولا عمره يكفي لأن يفكر في الأرض والسماء .. ولكن هذا الفيلسوف لا يستبعد أن يجيء اليوم الذي ينشغل به الناس بالتفكير في السماء أيضاً .. تماماً كالطفل يعتمد على أمه أول الأمر ثم يعتمد على ساقه . ثم يعتمد على نفسه . ثم يكون آخرون يعتمدون عليه . فديانة الطريق – في هذه المرحلة – ليست إلا مراحلها المتقدمة في طفولتها وعندما تكبر بالناس . ويكبر بها الناس ، فإنها سوف تكون شيئاً آخر رفيعاً عظيماً ..

ولا يمل هذا الفيلسوف أن يتغنى بالفضيلة وفضلاء الناس . ويرى أن الرجل الفاضل هو الرجل المتبع وأن هذه المنفعة والمناعة . قد جاءت من داخله . فهو الذي سد النوافذ في وجه الشر . وهو الذي اصطفى أصدقاءه . وهو الذي اختار طريقه واختار رفيق الطريق ..

يقول لاوتسو :

إن الذي يملك الفضيلة أو تملكه الفضيلة كأنه طفل صغير بريء .. الحشرات السامة لا تدغّه . الوحوش الضارية لا تأكله . تطير الحديقة لا تدميه . عظامه لينة . ولكنه متأسك حركاته

بريئة . ولكنها حكيمة . قادر على أن يصرخ طول اليوم . ولكن شيئاً لن يصيب حنجرتة .

بل إن صراخه يقويه وينفخ صدره ويقوي عضلاته .

ويقول الفيلسوف لاوتسو ، وكأنه ابن هذا العصر :

« كلما كانت هناك محرمات كثيرة في هذه الدنيا . كان الإنسان أكثر ضعفاً وأكثر هزالاً وهواناً ..

وكلما كنت عند الناس أسلحة حادة . ازداد اضطراب الناس ..

وكلما أحاطت به المغريات الشريرة احتجذ إلى قوانين أكثر .

وكلما زاد عدد القوانين . زاد عدد النصوص المخربين من القانون .

وهو صاحب العبارة المشهورة جداً التي ترددت في الثورة الفرنسية :

« قل لي كم عدد القوانين والقوانين المعدلة . وأنا أقول لك عن أنواع

الصوص والخونة في بلدك » .

ويقول أيضاً : « عندك شجاعة وجرة . سوف تكون قاتلاً .

عندك الشجاعة على ألا تكون لك حرة سوف تعيش طويلاً » .

فما الذي تريده هذه المدينة باختصار : أن تكون هادئاً كفرد .

وأن تكون مساكناً كعضو في مجتمع . وأن تكون حاكماً عادلاً . وأن

تكون محكوماً آمناً . وأن يكون بين الناس سلام دائم .. فما دامت

هناك طرق وكل إنسان يمشي في طريقه في حاله . لا يعتدي على أحد .

ولا يستدرج أحداً إلى الإعتداء عليه . فهذا هو الحكم المثالي . وهذا

هو المجتمع المثالي ، والإنسان الكامل » .

والطريق إلى ذلك هو : إشباع الروح . والروح لا تشبع إلا عن

طريق الفهم . والفهم لا يستقيم إلا عن طريق الاعتدال . والاعتدال

هو ألا تكون متطرفاً . والتطرف هو أن تنكر الطريق كله . وتمشي على

خوافه مضيقاً على نفسك كل شيء . فتضيق على الآخرين أيضاً  
فاعتدل تكن عدلاً . واسترح تكن مريحاً . وانظر إلى نفسك لا ينظر  
إليك الناس . وانشغل بالأرض عن السماء . وبنفسك عن الأرض  
وأنت وحدك في هذا الكون . وما عداك أو من عداك . لا تستطيع أن  
تفهمه . فأنت أصعب من أي شيء آخر . وإذا فهمت نفسك .  
فهمت غيرك من الناس ومن غير الناس .

وشيء آخر يطلبه الفيلسوف لاوتسو : سرقة . يجب أن تكون  
سارقاً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

وهو لا يريد من أتباعه أن يكون الإنسان لصاً . يأخذ ما ليس له .  
وإنما أن يسرق نفسه من كل شيء حوله . أن يسرق نفسه من متع  
الحياة وأن يسرق نفسه من الانشغال بشيء آخر غير التأمل . والتأمل  
والإستغراق هما الملجأ أو الكهف الذي يأوي إليه الإنسان . أي عندما  
يسرق نفسه فإنه يختبئ في كهوف التأمل . فأنت المسروق المسروق .  
وأنت الخائف وأنت الذي أحرقت هذا الخائف وآبته من خوف .  
وأطعمته من جوع .

ولا بد أن تكون فلسفة لاوتسو رد فعل لشيء عنيف في الصين .  
والصين قد مزقتها القبلية واللغات والحروب ولا بد أن يخيم من يعني  
الفوارق بين الناس . أو يدعو إلى ذلك . . ومن يوحد الطرق كلها في  
طريق واحد . ومن يطلب من الناس أن يتحدوا ويتجهوا . ونهت  
هذه الحروب عندما أنشئت حكومات مركزية متطرفة . هذه الحكومات  
المركزية المنطقة أصبحت نموذجاً لكل الحكومات الصينية في كل  
العصور إلى أن سقطت حكومة مانشوس سنة ١٩١٢ .

وبعبارة حديثة : يمكن أن يوصف الطريق بأنه ليس متحداً في



لأرض وفي المزارع والغابات والجبال تمشي فيه .. ولكن الطريق مثل  
لبساط المتحرك الذي نجده في بعض امطارات الأوروبية .. نقف فوقه  
فيحملك وحقائبك إلى ناحية أخرى من المطار .. والطريق ليس سندا  
فقط نصعده .. ولكنه يشبه سلم عربات التحريك .. إنه يرتفع .  
يصعد به أيضا .. أو هو يشبه الطائرة التي نتحرك فيها إلى الأمام وهي  
في نفس الوقت تتحرك دون أن ندري .. أو مثل هذه الأرض التي  
تدور بنا بسرعة . ونحن نتحرك عليها .. ولكننا لا نشعر بحركتها ..  
ويقال إن كونفوشيوس وكان أصغر سن عندما رأى لاوتسو قال  
له : ما هذا الذي أراه ؟

فرد لاوتسو : لا شيء .. إن الحياة تتركب اللاحياة .  
وتفسير ذلك أن لاوتسو كان يركب ثورا أخضر . فهو الحياة . أما  
الثور فليست له فضيلة ليست له حياة .. وإن كان حيا . فهو لا  
حياة .. لأنه ليس عقلا ويستحيل أن يكون . وكل شيء في هذه  
الدنيا يلزم شيئا آخر مضادا له !

## أن يكون هناك طريق إلى شيء !

هذه الورقة لنكتب عليها . هذا القلم لنكتب به . هذه السيارة  
لنركبها . هذا الشارع لنمشي فيه . الهواء لنشمه . الماء نشربه . الشمس  
لنتير لنا . والقمر أيضا . وابنك لكي تحبه . وأبوك لكي يحبك . وأنت  
ما معنالك ؟

هذه الشفاه لتقول . هذه العيون لترى . هذا الأنف ليشم . وقلبك  
ما فائدته ؟

هذا المنظر ليروي الأرض . . هذه الأرض للسكن إليها وعلىها . .  
هذه الوحوش لتصيدها - وإيمانك ما قيمته !  
وأنت طفل لتصبح رجلا . وأنت رجل لتصبح شيخا . وأنت  
شيخ لتقدم على شبابك - والموت ما حكمته ؟

هذه التساؤلات عمرها أكثر من ألف سنة . ولا أحد يعرف من  
السائل ومن المجيب . ولكن كتب الديانة اليابانية قد احتفظت بها  
لنشرها من حين إلى آخر . ومنها نعرف أن اليابانيين قد لاحظوا وحاولوا  
أن يفهموا . وهذه التساؤلات لم يستطع أحد أن يجيب عنها . فقد  
تكفلت دياناات أخرى أقدم بفهمها وإفهامها . البوذية فعلت ذلك . .  
والكونفوشية أيضاً .

ولم يفلت مذهب ديني واحد في آسيا كلها من أثر البوذية  
والكونفوشية . كما أن الديانات بعد ذلك لم تقدر على صد اليهودية  
والمسيحية والإسلام بعد ذلك . فقد اختارت منها الكثير ..

وفي ياردن الآن دين اسمه «شنتو» أو شندو . وهذا الدين معناه :  
السيبل .. الطريق .. الصراط المستقيم .. الدرب السوي ..

وكل الديانات الصينية والهندية قد اتخذت الطريق وسيلة للوصول  
إلى معنى كبير . أو على الأصح لتحقيق الأخلاقيات العامة .  
والأخلاقيات العامة معناه : أن يكون للناس جميعاً سبيل واحد .  
يمشون فيه أو على هذه . ليكون الخير عاماً بين الناس . والسلام  
طعاماً وشراباً وهو للجميع . كل هذا على الأرض . أما السماء فهي  
رب أو أرباب يحمونها من أنفسهم ومن الإنسان .

وفي الأساطير اليابانية القديمة تقرأ عن الشعب الياباني أنه يهيم  
على وجهه في الأرض .. إلى كوريا والصين .. لا بيوت ولا عائلات .  
لماذا ؟ لا إجابة عن ذلك . ولكن هذا الضياع كان مقدمة . أو مبرراً .  
لظهور ديانت تجمع بين الناس . ولذلك قام الأباطرة تجمع الناس حول  
قصورهم . وكانت القصور هي التعميم المقيم .. وكان الناس هم العذاب  
والهوان الذي دار حول معنى واحد : الامبراطور . ابن السماء . أو  
السماء الذي سوف ينقذ الجميع من الجميع .

يقال إن أحد الأباطرة جمع الحكماء في دولته . وكان عددهم  
٨٠٠ رجل . ويقال ثمانون رجلاً . وطلب إليهم أن يلتفتوا حوله .  
وقال : أريد أن تقع عيني دائماً على رجل عاقل . فكونوا حواري .  
ولتفتوا حوله . وسكت الامبراطور طويلاً . ولم ينطق أحد بكلمة .

ثم وقف الامرأطور بين حكمائه . وقال : يا حكمائي ماذا ساءت  
الحال بين الناس ؟

فلم ينطق أحد .

وعاد يقول : يا حكمائي لماذا يهرب الناس من بلادي ! يا حكمائي  
لماذا يقتل الإبل أنه ؟ ويهرب الرجل من روحته ؟ لماذا يشيع النقص  
ويجوع الشريف ؟

فلم ينطق أحد .

وقال الامرأطور : يا حكمائي ماذا لا ينطق حكمائي ؟ إذا سكت  
لعقل فمن الذي يتكلم ؟ إذا حرس المصدق فمن الذي يبشر الناس ؟  
إذا تحولت رؤوس نصيبين إلى أحذية في أقدامهم فأني شيء أشرف  
من الرأس يوضع على الكتفين ؟  
ولم يجب أحد من الحكماء .

وعاد يقول : يا حكمائي ماذا يتكلم الملوك كثيرا . والناس قليلا  
والعقلاء نادرا ؟ هل لأن في يدي سيف .. إذن سوف أرميه ..  
ورمي السيف بعيدا . وأشار إلى حراسه أن يخرجوا من القصر .  
ولكن أحدا لم يتكلم ..

وعاد يقول : يا حكماء العالم . هل لأنني أرتدي ملابس من  
ذهب .. وأضع عطرا نادرا . وأنني أأكلت طعاما شهييا . ومنت نوما  
دونا . وأحمل مفتيح الرزق والأرض والسماء ؟ إليكم ملابسني .  
ونخلع ملابسني .. ولكن الحكماء لم يتكلموا .

ثم جلس الملك حزينا على ما أصابه .. وأصعب العقل في زمانه .  
ووقف أحد الحكماء وقال : الآن أتكلم ..

ثم حمس هذا الحكيم . ووقف حكيم ثان وقال : إن لدى جاري شيئا هاما سوف يقوله .

وأشار إلى حارده ليتكلم . ووقف الجار ليقول : إن جاري لديه ما يقوله ضد الإمبراطور .. ووقف الجار ليقول : وجاري هذا لديه ما يقوله ضد حاشية الإمبراطور .. وأولاد الإمبراطور . وأقرب الإمبراطور .. ووقف حكيم سادس وسابع .. والحكيم الثمانون قال : أرايت يا صاحب الحلالة ما الذي يجعلك نسكت . وما الذي يجعلنا نقول الحق ؟

وأحس الإمبراطور رأسه حتى قرب الأرض ليقول : إنه سيفني وملاسي وحراسي .  
وقال أحد الحكماء : أذا ليس ذلك . وإما الذي جعلنا نتكلم ..  
أنت طست النصيحة . وكنت صادق ومخلصا . وأنت تعي ما تقول .  
وأنت استمعت إلى النصيحة عاريا متواضعا بلا سلاح ولا ذهب ولا رحل .. هذه هي الطريقة . ولحاكم يخاف .. والحكيم لا يخاف الحاكم !

والمعنى من وراء هذه المسرحية القديمة جدا . هو أن الإمبراطور إذا صدق . صدق كل الناس . وأن الملك إذا تواضع . تواضع كل الناس .. وإذا طلب النصيحة استفاد كل الناس ..

وفي ذلك يوم من حوالي خمسة وعشرين قرنا يقال إن الملك ذهب إلى الحمام . وألقى بنفسه في الماء الدافئ المعطر . ويقال إنه رَم على وجه الماء . ورأى في نومه أن بيتا صغيرا مغلق الأبواب والنوافذ . وأن هذا البيت تدور حوله الطيور والحيوانات والناس . ولكن أحدا لا يقترب منه . ولاحظ ملك أن الناس والحيوانات والطيور والزهود

كنها تدور في صمت . لا أحد يتكلم . وكس ضللاً صغيراً دق الباب وانفتح الباب .. ومن وراء الباب خرج النور إلى كل الدنيا . وقيل للملك في تفسير هذا الحلم . أن الطفل هو التواضع .. وأن البيت هو الحكمة .. وأن الحكمة لا يبلغها الإنسان إلا إذا تواضع . وأن المتواضعين وحدهم هم القادرون على نشر الخير بين الناس . وصحا الملك ليقول للحكماء : احكموا أنتم . أم أن فلا أصلح للحكم . فأن لم أعرف التواضع في حياتي . ولا البساطة في طعمي أو شرابي . اختاروا من بينكم حكيماً . يهدي الناس جميعاً إلى سبيل سواء . !

وهذا هو أساس الديانة اليابانية : شنتو .. أو الشنتوية . وهذه الديانة ليس لها رسول ولا نبي . ولا مصلح . ولا رجل واحد . وليس لها كتاب مقدس . ولكنها خلاصة التعاليم السابقة بعد أن هذبها اليابانيون وجعلوها على «مقدسهم» أو على قدر احتياجهم من هذه الحياة .. اليابانيون لا تهمهم الحياة الأخرى ولا يعرفون عنها شيئاً . فهذه الدنيا تكفي . وهموم هذه الدنيا تحتاج إلى أكثر من دين لتوضيحها . ولذلك اكتفوا بهذه القواعد في السير والسلوك وحياتهم اليومية العائلية والعملية . واكتفوا بعدد من الطقوس والأعياد الدينية وأعياد الطبيعة والمحاصيل والإخصاب .

حتى جاء الأمريكان واحتلوا اليابان واقتلعوا القداسة من دينهم . وجعلوا دينهم بلا قداسة . أو بلا مقدسين . وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٥ أعلنت قوات الاحتلال الأمريكية أن ديانة شنتو ليست الدين الرسمي للدولة . وكل إنسان حر في أن يختار الدين الذي يعجبه . وأن الدين ليس علماً مقررأ على الطلبة في المدارس . وأن رجال الدين



نيسو موظفين في الدولة . ولا داعي لأن يدفع الناس من مرتباتهم  
و ثروتهم نسبة عالية لبناء المعابد وإطعام رجال الدين ..

وأهم من ذلك لم يعد الإمبراطور نفسه مقدساً . لا هو إله . ولا هو  
ابن الشمس . ولا هو معصوم من الخطأ . ولا قراراته قضاء وقدر .  
إنه إنسان عادي جداً . ومعنى ذلك أن عصيانه ممكن . والخروج عليه  
وعلى أسرته واجب كل ياباني . وكان الإمبراطور قبل ذلك يدعو  
الشعب إلى القتال . ويكون القتال باسم السماء . وأموت من أجل  
الإمبراطور أسمى عدايات القتل .. ولذلك كانت الحروب اليابانية  
حروباً مقدسة .. وأذكر وأنا في طوكيو بالقرب من القصر الامبراطوري .  
أن صحوت من شرودي على المرشدة السياحية وهي تشير إلى قصر  
الإمبراطور : هه .. إنه يسكن هنا .. كان لا بد أن تنتظر القنبلة  
الذرية لكي يصبح هذا الإله المقدس إنساناً عادياً ..

وضحت كل السياح . وفي إحدى دور السيمما ظهر إمبراطور  
اليابان وألقى كلمة . ولا أفهم طبعاً ما قال . ولكن السيما كلها تملأت  
بالضحك .. إذن لم يعد إلهاً .. لقد أهد الأمر يكان وأعاده إلى حجمه  
الطبيعي من الكرسي الذي يجلس عليه والقصر الذي يرتع فيه . والدولة  
التي ورث حكمها المقدس . أو حكمها الذي لم يعد مقدساً الآن ..

والشنتوية هي كوك شنتو .. أي الدين الرسمي للدولة . وهي الآن  
دين . ولكنه ليس الدين الوحيد . ففي هذه الديانة طوائف أخرى  
كثيرة . فهناك من يعبدون الجبال والبراكين والغابات والشمس وبقية  
مظاهر الطبيعة . ومن الممكن أيضاً أن يكون للياباني أكثر من دين .  
شنتوي مسيحي . أو شنتوي يهودي .. أو شنتوي مسلم .. ممكن هذا ولا  
أحد يعترض عليه . أو يتدخل في شأنه . وهناك طقوس واحدة

للمصلوات والدعوات . ولكن ليس من الضروري أن يذهب الناس إلى  
معبد واحد . ففي إمكان كل متدين أن يقيم لنفسه معبداً صغيراً  
في أحد أركان البيت ويصلي للإله الذي سترج إليه هو . أو أجداده  
من قبل .

وهذا هو أول تحرر ديني في اليابان من أنوف السنين . فقد كانت  
لدولة هي الدين . وكان الملك هو رأس الدين وهدفه وعديته . صحيح  
أن الإمبراطور هو ابن السماء - كان ابن السماء - ولكن الأساطير  
اليابانية ترى أن هناك آدم وحواء - ايزانامي وايزانامي - ومهما  
ولدت الشمس . ومن الشمس ولدت الدنيا .. ولكن الإمبراطور ولد  
من الشمس قبل ولادة الدنيا .. وليس من حقلك أن تعرف من أي  
أنواع الشقوق في الأرض خرج الإنسان .. فإذا عرف . أو لم يعرف  
فالمهم أن الإمبراطور هو سقف الدنيا وقمتها .

وقد أعس الإمبراطور في بيته الرسمي المشهور : أن الرابطة التي  
بيننا وبين الشعب . قائمة على الثقة ولحب المتبادل . ولم تعد هذه  
الروابط تستند إلى الخرافات التاريخية . ولا يمكن أن تقوم على هذا  
الوهم الكاذب بأن الإمبراطور مقدس . وأن اليابانيين هم سادة العالم .  
وأنهم لذلك يجب أن يحكموا البشرية كلها .

وبذلك أسقط الإمبراطور نفسه ودينه .

ولكن المدينة لشتوية ليست دينة بلا مقدسات . وإلا لم تكن  
ديناً . فما يزال هناك رجل دين . ولكتب الدينية . والقيم والأخلاق .  
ولا يزال الأجداد مقدسين . والموتى مقدسين أيضاً . ولا يزال الجسم  
الإنساني رديئة يجب التحكم فيه أو التخلص منها . ولشتوية تدعو  
إلى طهارة اليد والنفس أيضاً . وإذا كان كل إنسان يستطيع أن يكون

له أو لا يكون له دين . فمن حق أي إنسان أن يكون كاهنًا . ولم تعد الكهانة وراثية .

وفي بعض معبد اليدوية يغسل الإنسان يديه . وفي ذلك إشارة إلى تطهارة أو الرغبة فيها أو الإيمان بضرورتها . فهو يغتسل . أو يتوضأ .. ثم إنه يتلأف ثم يمسح ويقتبض حبه . وفي ذلك إشارة إلى غسل فمه أيضاً من كل طعام حرم . وكلام مسموم . ولا يقول إلا تصديق على نفسه وعلى غيره .. وفي مداخل بعض المعابد أيضاً تتعلق جبال وأجراس ومقسات . وكل متدين يمر بها يهرها . وهو بذلك يشير إلى أنه قد نقل إليها خطيئته .. ومن ذلك تطهير . فهذه الأجراس تعد أن أحد حاء يضرب لتوبة . وهذه حبل إشارة إلى نسى . وهذه مقسات إشارة إلى الرغبة في كسب لوزية من جسمه ومن نفسه .. كل يوم .

— وبعد ذلك هل الشنتوية دين ؟

— ليست ديناً ولكنها كالدين

— هل هم رب ؟

— لا رب لهم

— هل هناك حياة بعد الموت وهل هناك حساب وعقاب وجنة

ونار ؟

— ليسوا على يقين من هذا كله . فلم يفكروا في شيء من ذلك .

وقد سبهم رجالهم وحكماءهم إلى أنه من الصعب البحث في هذه القضايا السامية .

— إذن لماذا يفعل الإنسان الخير ؟

— لأنه هو الصحيح .

— ولكن الأشرار يرون أن الشر أمتع وأرفع وأنه هو الصحيح ؟

- إيهم يغاطون . ولا يمكن أن يكون خضف الطفل من صدر أمه  
خيبراً .. ولا يمكن أن يكون لقاء الفقير عرباً في منظر خيبراً .. ولا  
يمكن أن يكون كرش الإمبراطور خيبراً .. ولا يمكن أن يكون ذهب  
زوجته ومجوهراتها وكروش أقاربهم خيبراً .. ولا يمكن أن يكون  
الإعتداء على حرمان الناس خيبراً ..

- ولكن ، هي المائدة من أن يكون الإنسان نظيفاً . م دمت  
نظافته لا تجعله من حاشية الإمبراطور ؟

- لأن الإمبراطور فسد .. وعندئذ يصبح الإمبراطور نظيفاً فسوف  
يلمع كل شيء في قصر الإمبراطور حتى أضافر كلاله ..  
وما هو الحل ؟

- لا حل .. إذا انصلح الناس اعتدل الإمبراطور ..

- وإذا اعتدل الإمبراطور انصلح الناس ؟

- لا يمكن أن يعتدل الإمبراطور إلا إذا الشعب اعتدل .. وإني  
يعتدل الإمبراطور الواحد إذا اعتدل الشعب بالملايين .

إلى آخر هذا الحوار الذي سجلته أدبية يارنية في إحدى قصص  
الأطفال .. القصة اسمها الشجرة والجبل والنهر وما بعدها .. الأدبية  
اسمها : يوكوتيجاوا .

ونذي قلته للأطفال . هو الذي يمكن أن يقال للكبار أيضاً ..  
وفي مقدمة هذا نكتب قلت المؤلفة هذه العبرة توجهها إلى أولياء  
أمور الأطفال الصغار : الطريق الطويل سلامة . والطريق القصير  
دعاة . ولكن أفضل أن يكون للإنسان طريق . من أن لا يكون له !

## وأين مكان لا يوجد به الله ؟!

عندما توفي هذا الرجل حنّفت الناس : ما الذي يفعلونه بجثته ؟  
قال مسجون : يدفعه على سدة مته ورسوله . وقال هندوكيون : بل  
نحرقه على سدة العزير عندنا ولعاني عيبا .. وقال آخرون : بل نتركه  
حتى تحييء الطيور وتأكل لحمة .. وبذلك يدوس في بطون الطيور ..  
تدفنه في السماء !

والم يتفقوا على شيء . وتسلل من بين الحشوع طفل صغير . وتقدم  
من جثة الميت . ورفع عنه لغطاء . وصرخ الناس جميعا .. لم يخلدوا  
الميت وإنما وجدوا باقة من الزهور !

هذا الرجل الهندي اسمه : نانك ولد بالقرب من لاهور في ولاية  
بمبارك سدة ١٤٦٩ . تأثر كثيرا بالدين الإسلامي . وأعجب ببساطته  
وسمحته . وأن الله واحد . وأنه هو الأول وهو الآخر . وهو من وراء  
و قبل وبعد كل شيء . ولكنه في نفس الوقت تأثر بالديانة الهندوكية .  
فهو لا يؤمن بيوم القيامة ولا بالحساب ولا العقاب . ولا الحياة بعد  
الموت . وإنما يرى أن الإنسان عندما يموت فإن روحه تعود جسده  
وتنزل في جسد آخر .. وهكذا ألوف أو ملايين المرات . فلأجسام  
تسقط والروح تتصاعد . والروح تنتقل من ثوب إلى ثوب . أو من

مكان نصهره إلى مكان آخر حتى تتم طهارتها وصنوفه في النهاية .  
ونجىء النهاية سريعة أو بطيئة . والروح لا تعرف متى يكون له الخلاص .  
ويرى ذلك أيضاً أن الله هو الذي يحب أن يتحد إليه الإنسان .  
ولا تتم لهذا الطريقة التي يستعملها الإنسان في الوصول إلى الله .  
أو الاتصال به . أو لقاء فيه . وإن كان هو يكره كلمة «لقاء»  
هذه . ويفضل عليها كلمة «الاتحاد» بالله .. ويتصور ذلك هذا أن  
الروح عندما تتحد بالله . فيها لا تبقى فيه وإنما تبقى ذات وجود  
متميز ويقول : «تماماً كما تسقط قطرة العرق من جبينك إلى ماء  
المحيط .. إنها لا تذوب فيه ، ولكن تبقى وحدها فيه» ؟! ..

ويقول ناناك : إن إرضاء الله أهم من إرضاء الناس .  
ويرى أن هذه العبارة الصغيرة هي أهم أسس هذه الديانة ..  
وديانته اسمها : ديانة المسيح . وهذه الكلمة معناه : التبع أو التلميذ .  
وهذا الرجل ذلك . كان مثل بوذا والمسيح . لا يريد أن يكون  
صاحب دين . ولا نبي . وإنما هو رجل أراد إصلاح الأديان السائدة .  
وهي شديدة التعقيد . حاول أن يجعلها أبسط وأيسر . واستعان بالإسلام  
ليحقق هذه الغاية .

يقول ناناك : لماذا يذهب الإنسان إلى الغابة ليفكر في الله . لماذا  
يجلس في مواجهة لبحر أو الجبل أو حتى ينظر إلى السماء لعله يجد  
الله .. إن الله في كل شيء . وقبل كل شيء . كان موجوداً قبل أن  
يكون له اسم . وقبل أن يخلق الكون . إنه موجود في هذا الكون  
كأنه مثل وجود العطر في الزهرة . والنور في الشمس . هكذا يكون  
وكان وسوف يكون» .

ويقول أيضاً : «هذا الكون يستمد حقيقته من وجود الله . ولكن



لإنسان لا يشعر بالله حقاً إلا إذا أحب .. أحب الخير وأحب السلام  
وأحب الصدق . في لحظة الحب تكون لحظة الاتحاد بالله . ولا يصنع  
الإنسان إلا إذا أحب . ولا يكتمل صفوه إلا إذا كان هو الحب ! ..  
أما الإنسان ، أي إنسان ، فهو يرى أن الإنسان يرث صفات  
نورية . وصفت لأسرة وصفت للإنسانية كلها . لأن روحه قد  
نقلت فيه إلى أجسام كثيرة . وسوف تنقل بعده إلى أجسام أخرى ..  
ولكن هذه الروح ليست مجرد طائر معد يسقط من فرع شجرة  
إلى فرع شجرة أخرى .. بل طائر له إرادة . ومن إرادته هذه يقرر  
ما يريد منسلاً له . فإن فعل خيراً ، فالخير من عند الله ، وإن فعل  
شراً ، فهذا الشر من عنده هو .. حتى إذا صفا هذا الإنسان ولم يعد  
قدراً على أن يكون منه ير . وهذا العجز عن الشر . هو منتهى  
الاقتدار على أن يكون مثلاً أعلى .. » .

ونانك يرى أن الصفاء أو الخلاص لا يشبه «الزرقانا» عند  
الهندوكيين . لأن الروح معده أن تعدد في الإنسان كل رغبة في  
شيء ولكن الصفاء في ديانة السيخ هو منتهى الإيجابية في تحقيق الخير  
عند الإنسان . وديانة السيخ ليس فيها أناس مقدسون . كالمسيحية  
مثلاً . وإنما فيها أناس ضيئون تدادج بشرية . في استطاعة الإنسان  
أن يمتشي على طريقته . وأن يكون منهم . ولكن القديسين في المسيحية  
تدادج منه بما يصعب تحقيقه . إن لم يكن مستحيلاً ثم إن المؤمن  
يضطرب إليهم أن يعودوه على التعجب على صعوبات الحياة والموت  
وما بعد الموت ..

ورحل الذين عند السيخ اسمه : حورو أي معلم . والمعلمون عندهم  
منه فقط آخرهم أعين أنه لا أحد من بعده . وأول هؤلاء معلمين

هو ذلك هذا . الذي أرسى هم أصول الإيمان ومعاملات ونصوات  
والتراثيل

ومعارك الإنسان كلها في داخله هو .

فهذه خمسة من الأعداء يجب أن يقدمهم للإنسان . وأن يستصم  
عليهم . بل أن يستعين بهم لمواجهة الآخر . حتى يبرم . أي حتى  
يبرم نفسه بنفسه ، ويكون انهزامه هذا هو قمة النصر . أما أعداؤه  
فهم : الشهوة والغضب والطمع والتملك ثم الغرور .

ولم يدركوا تقوى : من تعب على نفسه . تعب على الله .  
وتتبع من بعد المعصون . وهم هؤلاء المعصون جميعاً هم حوسنة  
مسيح وهو المعلم العشر . وهو الذي طُلب إلى كل مسيح أن يمدى  
لواحد منهم الآخر كسنة : يهيئ . أي الخ . فكنهم إخوة . وكنهم  
مناسكون أو يجب أن يتناسكوا في وجه الأعنية المسحقة من المديانات  
الأخرى . فعدد مسيح في السحار وفي الهند كنف لا يريد على عشرة  
ملايين . وهم مستشرون في أوروبا وأمريكا . وقد اشترك مسيح في  
حروب كثيرة . كسبوا وانتصروا فيها . وأدت هذه الحروب إلى  
تقاربهم أكثر . وإلى حرصهم على أن يظهروا وأن يظاهروا بديهم .  
ولذلك جعلوا هم ملابس متميزة . فهم يطبقون شعر الرأس والحية  
مدى الحية . ويضعون عمامة على الرأس يلفونها بطريقة خاصة .  
ويضعون مشط صغير في الرأس . ويضعون سيفاً صغيراً وراء الأذن .  
دليلاً على الشجاعة وعلى الإباء . وعلى أن السيف ليس من أجل  
القتل . وإنما للدفع عن النفس فقط . ويضعون في أيديهم أسورة  
معدنية دليلاً على أنهم يعتدوا بديهم . وأن ديهم هو الذي يضغط  
عوسهم عن الخطيئة . ثم إنهم يفضلون ارتداء السطون القصير .

ليكونوا أحف حركة إذ اقتضت الضرورة ذلك .. وإذا قبل واحد منهم الآخر فإنه يقول له على سبيل التحية : الصديق أدي !

وكان من عدة غنود أن تحرق الأرملة نفسها بعد موت زوجها . وجاء المعلم العاشر وحرم ذلك تماما . وقال : « إنما المرأة تحرق نفسها حزنا على زوجها .. إنما المحرقة وليس الاحتراق » .

وقد سبق بذلك البريطانيون بمئات السنين . وسمح للشيخ أن يأكلوا اللحوم بشرط أن يتولوا هم ذبحها وأن يكون اللحم نظيفة واحدة من السيف - وهم أقرب إلى اليهود منهم إلى المسلمين .

ومن تعاليم الشيخ أن يصحوا كل يوم في الثالثة صباحا يستحمون بماء البارد . ثم يقرأون بعض الآيات . وفي الليل يصلون أيضا . وقبل النوم يقرأون بعض الترتيل . والإمام العاشر نهى عن الحج إلى أي مكان . لأن الحج يؤدي إلى انتشار الأمراض .

وتعرض الشيخ لغارات المغول في أيام المعلم العاشر ( ١٦٧٥ - ١٧٠٨ ) . ولذلك جمع رجاله وطلب منهم التضحية المطلقة . ويروى عنه أنه وقف تحت خيمته في أحد الأيام وصرخ : أريد خمسة يموتون فوراً . وتقدم خمسة . ودخل بهم الخيمة . ثم خرج والسيف في يده عارق دماً . وبعد لحظات أشار إلى خمسة أن يعودوا فعادوا . ثم أتى بناء من الحديد . ووضع فيه طعاماً وراح يقلبه بالسيف . وأكل الجميع في إناء واحد . فلا تفرقة بين معلم وتابع . ثم باركهم . وأصبح من طقوس الشيخ أن يأكلوا من طعام واحد في المائدة . وبعد ذلك قام المعلم العاشر واختار منهم جماعة سماهم « المخلصاء » أو « الأصفياء »

وضبب إليهم أن يرووا للناس ما رأوا . وأن يدعوا الناس إلى هذا الدين  
المسلم .

والشيخ لا يدخن ولا يشرب الخمر . ويفضلون الزواج في سن  
متأخرة نسبياً . فقد كان معظمهم الأول لك تعيش عندما تزوج في  
المرحلة عشرة من عمره . وأحببت له زوجته ولدين . وهاجر من بيته ومن  
قريته إلى الهند الواسعة يطلب الحكمة . ونفى عن نفسه أنه يحتقر  
الجسد . أو يكره المرأة . فقال : كيف أحتقر المرأة التي ولدت كل  
هؤلاء العظماء في التاريخ ؟

وقال عن المرأة أيضاً : إنها صميم الرجل .  
وهذه الديانة قد جمعت خلاصة كثير من الأديان التي انتقت في  
البنجاب . وفي هذه منطقة من شبه القارة هندية التقى كل أبناء  
الحضارات القديمة : الفرس والأكاريق والمسلمون . واختلطت لغاتهم  
باللغات المحلية ودمجهم بحدسهم وأدم هذا الاحتلاط الفئال من الألوان  
واللغات وتديرات . كان لابد للشيخ أن يتحدوا . وتحدوا وتماسكوا .  
وهم الآن أكبر دليل على نجاح الأقلية المسلمة المتمازجة في الهند  
وخارجها .

ويقال إن المعلم الأول لك عندما مرض سأل واحد من أتباعه :  
قل لنا يا معلم ما الذي تشكو منه بالضبط ؟ فقال المعلم : لا أشكو من  
شيء .. وإنما أتوجع على وجه العموم .

ولم يفهم تلميذه فعاد يقول له : هل ذراعك ؟

— لا .

— هل بطنك ؟

— لا .

- هل عقلك ؟

- لا .

- إنني لم أفهم بالضبط ما الذي يوجعك ؟

- لأنني لا أعرف بالضبط ما الذي يوجعني .. إنني أشعر تمام كإنني  
أخضع توني .. وهذا الثوب مشدود على جسمي .. ومثبت فيه بالحبرط  
ولاير .. وثوب يسدني .. رغم أنني لا أريد أن تسحب عنه .. بالضبط  
روحي هكذا .. إنها هي أيضاً تنسحب من الثوب .. تنسحب من  
الجسد .. الذي ملأته وارتبعت به وتعديت فيه وسسه .. بها تريد أن  
تفتك السلاسل وتقيود .. وليست أوحدي وصرحتي إلا صوت  
السلاسل .. هل فهمت ؟

- لم أفهم يا معلمنا .

- صدقت - فهذا لا يفهمه الإنسان لأنه لا يرد ولا يحس به إلا  
مرة واحدة عندما يموت !

وعندما استأذنه واحد من تلامذته في أن يتزوج قال له المعلم  
الأول : كيف عروسك ؟ قال التلميذ : جميلة يا معلمنا .

- كيف جمالها ؟

- حلوة الملامح ..

- قلت لك كيف جمالها ؟

- تحبني وتريد أن تسحب بي عشرة من الأولاد كنهم من المسيح  
المخلصين .

- قلت لك ما جمالها ؟

- تحب أبويها وتصلني وتدعو لكل الناس وسوف جعل منهم  
يفعلون ذلك .. وأطفال أطفالها أيضا .. أليس هذا عملاً عظيماً ..

- أليس هذا واجب كل مخلص ومؤمن يا معلمنا ؟
- لم تحدثني عن جمالها ..
- لم أفهم يا معلمنا .
- جمالها هو : كيف تجعل موتك سهلاً .. كيف تجعل خروج الروح من جسمك سهلاً .. كيف تستعد هي الآن لتجعل خروج روحها من جسمها سهلاً .
- لم أفهم .
- هل تحب الطعام ؟
- نعم .
- إذن ليست جميلة .
- هل تحب النوم إلى جوارك كثيراً ؟
- كثيراً جداً !
- إذن ليست جميلة .
- هل تتعلق بك إذا خرجت وإذا دخلت وتبكي لأنهم لأسباب ؟
- نعم .
- إذن ليست جميلة .. اقتلها ! اقتلها !
- كيف يا معلمنا ؟
- اجعلها تأكل أقل وتنام أقل وتبكي لك وعليك أقل ..
- وإذا فعلت ذلك ؟
- تكون زوجتك جميلة !
- وكثير من النوادر والحكم قد انتشرت من بعده في الكتب . ولم يصف إليها أحد من المعلمين العشرة إلا القليل جداً .

ويقال إن هذا « الباب » أو المعلم الأول كان ذا عقلية واسعة . وروح



رحبة . وكان شديد التسامح . وكان يطلب من المؤمنين أن يتزودوا من كل دين . بشرط أن يتمسكوا بأن الله واحد . وأن الحياة والموت في هذه الدنيا . وليس بعد ذلك شيء . ويقول إنه قرأ القرآن الكريم وحفظه وهو طفل . وأنه سأل أستاذه وهو يدرس اللغة العربية واللغة الفارسية : وماذا كان حرف الألف مستقيماً ؟ ولم يستطع أستاذه أن يجيب عن هذا السؤال . وقال هو وكان في السادسة من عمره : إن الألف هي الواحد . والواحد هو الأحد . والأحد هو الله . ففني هذا الحرف بداية كل شيء . كما أن الله بداية كل شيء !

ويقول إنه عندما ذهب إلى مكة . وزار الكعبة المكرمة وطاف حولها . تربيع إلى جوارها . ثم تمدد ونام . وجاء واحد يستنكر هذا النوم قائلاً : كيف تدم هكذا ؟ كيف تمدد رحليك في اتجاه الكعبة ؟ كيف تضع رحليك في وجه الله ؟ !

واعتدل المعلم الأول نذاك ليقول عبارته للحكمة : أعطني مكاناً يخلو من الله لأضع فيه سائي وقدمي !  
وهذا هو جوهر فلسفة السيخ !

## طريقة غامضة لتوضيح كل شيء !

ديانة يابانية اسمها : زن . أو اسمها : زازن . أي ديانة التأمل في شيء أو في كل شيء . وهذه الديانة ليست جديدة . وإنما هي أحد الاجتهادات في الديانة البوذية القديمة . وقد ظهرت ديانة زازن بعد وفاة بوذا نفسه بحوالي ألف سنة . وعلى الرغم من أن هذه الديانة محاولة لتبسيط الديانة البوذية . فإنها جاءت أعقد وأعمق . وإذا نحن طالعنا تلك المحاورات بين الطالب وأستاذه . أي بين المؤمن العادي وأستاذه الراهب المتمكن في هذا الدين وجدنا شيئاً عجيباً .

والأسئلة فقط هي الواضحة . أما الإجابات فلغاز أخرى جديدة تحتاج إلى حل . ولكن الراهب يترك الطالب يضرب رأسه في الحائط دون أن يدلّه على شيء . بل إن بعض الراهبين يرى أن عملية ضرب الرأس في الحائط . أسلوب مطّوب . لعل اهتزاز رأس الطالب يؤدي إلى أن تفتح فيه طاقة من النور .. أو لعل رأس الطالب يبرر ما حوله ومن حوله ..

على سبيل المثال . وإن أنقل من كتاب « الكوان » أي كتاب « الألغاز » اليابانية :

الأستاذ : ما أجمل هذا الجبل !

الطالب : إني أسألك عن الطريق .  
الأستاذ : .. دمت لا تذهب إلى أبعد من هذا الجبل . فلن نعرف الطريق !

الأستاذ : هل رأيتك قبل اليوم ؟  
الطالب : نعم !  
- خذ لك كوباً من الشاي ..  
ثم نظر الأستاذ إلى طالب آخر وسأله : وهل رأيتك قبل اليوم ؟  
الطالب : لا .. لم ترني .  
الأستاذ : إذن خذ لك كوباً من الشاي .  
وسأله طالب ثالث : ولكن يا أستاذ أنت قدمت كوباً من الشاي للذي تعرفه ، وللذي لا تعرفه ، فكيف ذلك ؟  
- إذن .. خذ لك كوباً من الشاي !  
الأستاذ : لماذا لا تذهب إلى الفراش ؟  
الطالب : الدنيا مظلمة !  
- خذ هذه الشمعة .

وأحدهم الطالب في يده . وسرعة تقدم الأستاذ وأطفأ الشمعة !

قال الأستاذ : هل تستطيع أن تمسك الفراغ بيدك ؟  
قال الطالب : نعم .  
ثم مد يده وأمسك الهواء .  
فقال الأستاذ : ليس كذلك .

— إذن كيف يا أستاذ ؟  
وصفعه الأستاذ على وجهه قائلاً : هكذا !

جاء رجل وسأل الأستاذ : هل هناك جنة ونار بعد الموت ؟  
فقال له الأستاذ : وأنت ماذا تعمل ؟  
— أنا جندي في حرس الإمبراطور .  
— ولكنك تبدو شحاذاً .

فغضب الجندي وأخرج السيف وضرب به عنق الأستاذ .. فقتل  
الأستاذ : أنت الآن تدق أبواب النار !

وعشرات من الألغاز والتفواظير تورثها المؤمنون بديانة "لوازن" .  
بعضها له دلالة عميقة . وبعضها من الصعب أن تحله له معنى . ولكن  
المهم في هذه الديانة أن يشعر المؤمن بأنه أمام شيء هائل . وهذا الشيء  
يصعب على الإنسان أن يفهمه بمجرد أن تكون له رغبة . ولكن يجب  
أن يجعل هذه الرغبة عنيفة بحيث تعزله عن الدنيا وما فيها . فإذا أمكن  
ذلك . واستمر وقت طويلاً . استطاع الإنسان أن يصل إلى شيء .  
وهذا الشيء هو أن يرى ما لا يرى غيره . ويسمع ما لم يسمع غيره .  
وإذا استطاع ذلك أصبح واصلاً . وأصبح مدركاً لحقيقة الكون .  
فما هي حقيقة الكون ؟

هذا الكون من أوله لآخره هو الله . والله موجود في كل شيء . في  
أجمل الأشياء وأصغر الأشياء . فهو نهر . وهو جبل . وهو الزهرة .  
وهو العصفور . والله هو الكل . والكل هو الله . ولذلك يجب أن يشعر

الإنسان بأن كل شيء مقدس . وأنه هو أيضا مقدس . وإذا نظرت إلى  
زهرة . فنت ترى الله . وإذا وقفت أمام جبل . فنت في حصة  
الله .. ولذلك فمؤمنون بديانة «الرازن» يرون أن كل عمل مقدس :  
زراعة الأرض وصيد الأسماك وغسل الأطباق وكس الشوارع . فكل  
ممكن محراب . وكل أعمالنا طقوس دينية . ولهذا السبب يرى اليابانيون  
أن شرب الشاي مثلا : له طقوس كالصلوات . وأن ما يتم أشد شرب  
الشاي ، تماما كالذي يتم أثناء الصلوات في المعابد .

ولكن هل لديانة الرازن إله ؟

ليس واضح هذا . هل لديانة الرازن أنبياء ؟ لا أنبياء . ولكن هنا  
معلمون . ومعمسون ستة . بدأوا وانتهوا في القرن السابع الميلادي .  
هل هذه الديانة تؤمن بأن الروح بعد أن يموت الإنسان تحل في جسم  
آخر ؟ لا تؤمن بذلك . هل هذه الديانة ترى أن الروح أفضل من  
الجسد ؟ لا ترى ذلك . ولكن ترى أن التحكم في الجسم هو أعظم  
مواهب الإنسان . بشرط أن يتم ذلك دون تعذيب ودون احتقار .  
سؤال هام جدا : هل هذه الحياة تساوي ما نلاقه فيها من عذاب ؟  
هل تساوي أن يظل الإنسان طوال عمره يشقى ليموت دون أن يعرف  
إلى أين أو من أين ؟ هل هذه الحياة تساوي هذه الحيرة التي يعانيها  
الأساذ والطالب ؟

والجواب : الحياة لا تساوي .. الحياة تساوي !

كيف ؟

في ديانة الرازن نجد أن الإنسان مطالب بأن يعيش كريما على نفسه  
وعلى غيره . وأن يختار أحف الطعام وأرخص ملابس . وأن يستخدم  
أقل الكلمات في التعامل مع الناس . فإذا وجد أن إشارة اليد أفضل

من الكلام فيفعل ذلك . وإذا وجد أن الضمت أنبع من الإشارة  
فليسكت .

ولكن كيف يهتدي الإنسان العادي إلى دينه . كيف يستطيع  
الإنسان الذي لم يتعمق في الأديان أو في الفلسفة أن يكون مؤمناً حقاً ؟  
إن دينة الزازن ترى أن أحسن طريقة لفهم الدين هي طريقة الطيور  
في تعليم صغارها الطيران . إن العصفور يمسك صغيره ويضعه على غصن  
بعيد عن العش . ويظل الصغير يصرخ خائفاً . بينما أمه ترقبه باهتمام  
شديد . ومن هذا الشعور بالخوف والحرص على الحياة . تتولد قدرته  
على الطيران .. وهي نفس الطريقة التي يستخدمها مدربو السباحة مع  
الذي يريد تعلم السباحة .. إمام يلقونه في الماء ويتركون لغريزة حب  
البقاء أن تجعله طفياً على سطح الماء .. وكذلك رهبان الزازن يستدرجون  
المؤمنين إلى أعماق قضايا الفلسفة ثم يتركونهم يقاومون الغموض من أجل  
الوضوح .. فإذا اهتدوا إلى شيء من الوضوح كان ذلك هو الطريق إلى  
الإيمان الصحيح . لقد جاء شاب إلى السيد «دوجن» أحد أعلام  
الزازن وسأله : هل يمكن أن يصفق الإنسان بيد واحدة ؟ فقال الأستاذ :  
نعم هذا ممكن . وترك الشاب وحده واختفى الأستاذ .

وظل الشاب يحاول أن يصفق بيد واحدة كأن يدق الجدران . أو  
يصفع خده . ومضت ثلاث سنوات . ولكن الشاب لم يهتد إلى شيء .  
وبعد ذلك لقيه الأستاذ وسأله : ماذا فعلت ؟

فقال الطالب : حاولت كثيراً .

وعاد الأستاذ يسأله : وهل نجحت ؟

فقال الطالب : لم أنجح ولكن ..



وعدد يقول : ولكن في لحظات التركيز المستمر استمعت إلى أصوات عذبة لم تصدر عني .. ولم تصدر عن شيء حولي .. سمعت أصواتاً ليس لها مصدر .. ورأيت أضواء ليس لها مصدر .. وشممت عطراً بلا زهور ..

ووقف الأستاذ يقول له : الآن .. استطعت أن تصفق بيد واحدة ! والمعنى الذي يريد الأستاذ أن يقوله : هو أن الإنسان إذا تأمل وأطّل التأمل ، وإذا تجرد من هذه الدنيا وزهد فيها ، ولم يعد عبداً لها ، مربوطاً بحبيل كثيرة اسمها : الماء والخبز والتقبلات والشهوات والسطوة ، فإنه قادر على أن يدرك حقيقة هذا لكون .. أو حقيقة أن الله في كل شيء !

ومن عدة رهبان الرّازن أن يرتدي كل واحد منهم مسوحاً معروفة . وأن يمسك في يده إباء يتسول به . فالراهب يجب ألا يكون مالكا لشيء . وإنما عليه أن يسأل الناس . إذا أعطوه فشكرا لهم . وإذا لم يعطوه فشكرا له . والناس يستحقون الشكر لأنهم أعطوا . وهو يستحق الشكر لأنه طيب . فالطيب صلاة .. والعطاء صلاة . والناس كنعيم أيد ممدودة تعطي وتأخذ مما أعطى الله !

وقد حدث أن جاء لص يسرق أحد الرهبان فسرق مسوحه المنزقة وسرق إباءه القديم . وجاء الراهب يبحث عن توبه ، وعن الإباء . فمعه يجردهم . وخرج يبحث في الشوارع فوجد رجلاً عرياناً . فقال له : أنت لذي سرقتي . فقال لص : وأنت سرقتي ملابسي . فقال الراهب : هات الثوب والإباء ! . ونهض اللص يرد الثوب والإباء فمعه يستطيع أن يحركهما فقد كانا في وزن الجبال ! .

وقال الراهب : إذا قلت لي عبارة واحدة لها معنى فسوف تجد

نسكت مكسور بملايس جديدة . فقال النص : أريد أن أموت !  
وهنا قال الراهب : صدقت .. مثلك يجب أن يموت !  
ويقال إن النص مات وقد سقطت عليه أبواب جديدة . هذه  
الأبواب ألقى بها سرب من الطيور !  
وخرافات أخرى كثيرة في ديانة الزان . والمؤمنون بهذه الديانة  
ينسرون هذه الخرافات تفسيراً رمزياً . فهم لا يؤمنون بالمعجزات ..  
وجاء في كتب الكوان - أي الألغاز أو المفارقات - أن طائفاً  
أو مؤمناً عادياً سأل « المعلم السادس » قائلاً :  
- يا معلم أنت رأيت بلاداً كثيرة .

- نعم .

- وأنا لم أر إلا هذا البلد .

- نعم .

- فلهذا لا أسافر إلى بلاد كثيرة . لأعرف إن كنت هناك بلاد  
أفضل أو أجمل من بلادنا ؟

- نعم ..

- أو كانت هناك نساء أجمل من نساتنا . أو جبال أروع .. أو  
فاكهة أمتع أو طرق أفضل .. أو ديانات أعمق ؟  
- نعم ديانات أعمق .

- أأنت أنت الذي قتت إن الذي لا يرى إلا وجهه هو . لم ير  
أحداً ؟

- قلت ذلك .

- أأنت أنت الذي قتت إن الذي لا يرفع عييه عن الأرض لا  
يعرف السماء ؟

- نعم قلت ذلك .  
- ألسنت أنت الذي قلت إن الذي لا يسألني لن يسأله أحد ؟  
- نعم قلت ذلك ..  
- إذن هل ديننا هذا أحسن الأديان ؟  
- هذا هو السؤال .  
- فما هي الإجابة ؟  
- أنت الذي تجيب ..

وتركه الأستاذ والأسئلة الكثيرة على شفثيه . فلأستاذ قد تركه في الوقت الذي كان يجب أن يبقى .. لقد تركه يسقط في الماء ليتعمه السباحة . تركه يهوي من فوق دون مظنة واقية . تركه في النار يحترق دون أن يعدونه أو يعده بشيء .. إما لأن الأستاذ نفسه لا يعرف . وإما لأنه يعرف ويريد غيره أن يعرف . ولكن الذين جاءوا بعد ذلك يدرسون ديانة « الزازن » لم يفهموا شيئاً كثيراً .

وديانة « الزازن » قد انبهرت - للأمريكان عندما احتلوا اليابان في الحرب العالمية الثانية . وترجموا كل كتبها القديمة . ودعوا إليها . ولذلك وجدنا عدداً كبيراً من الأمريكان يؤمنون بهذه الديانة . على سبيل المجاملة للمهزومين اليابانيين . أو على سبيل الملل من الحضارة الغربية . فهي ليست ديناً ، ولكنها « عينة صغيرة جديدة » من دين قديم .. أي من البوذية القديمة ..

أذكر عندما كنت في طوكيو أن دعيت إلى ندوة أو صلاة . ولا أعرف إن كانت الصلاة قد بدأت أو انتهت . فقد جلس الناس صامتين يتنشقون بيم وشيلاً . ثم عدوا يتكلمون . وروؤوسهم إلى الأرض .

ودارت مدققة عن الأديان الأخرى الكبرى . فكنت دهشة لنس  
هائلة عندما عرفت مثلاً أن الإسلام قادر على أن يجيب عن كل سؤال  
في كل قصة إنسانية وأخلاقية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفلسفية .  
ومصدر هذه الدهشة أن ديانة الزان تعتذر عن الإجابة عن ٩٠ .  
من الأسئلة الضرورية لكي يؤمن الإنسان بأن هناك إلهاً ونبياً وكتاباً مقدساً  
وحياة وحساباً بعد الموت .. بل إنني سمعت شاباً مهندساً يقول : إن  
لعمم الحديث يؤكد لي أن هناك عقلاً مطلعاً وراء كل شيء . فكيف  
يتجاهل الدين ذلك .. إنني أستطيع أن أخترع كل يوم ديناً جديداً .  
إذا كانت الأديان بهذه السهولة !

وأعود إلى كتاب الكوان فأجد أن طالبا ذهب إلى الأستاذ  
يسأله : إنني لا أجد ما يريحني في هذا الدين .

فما كان من الأستاذ إلا أن حرك المنشئة التي في يده في الهواء - ( المنشئة  
ويسمىها الجميع النفوي : المذبة أي التي يذب بها الإنسان الذباب  
بعيدا عنه ) . وعاد الطالب يسأله : ولا أجد أحداً يقول لي شيئا .

وعاد الأستاذ يهز المنشئة ..

وقال الطالب : إذن كيف تدعو إلى هذا الدين .. وكيف نقنع به  
أحدا . فالدين الذي لا يحرص على فلسفته وعلى الدعوة له . وعلى  
تسليح الناس بحجج مقنعة ليس ديناً ..

وقام الأستاذ وهز المنشئة مرة ثالثة ..

وعاد الطالب يقول : إذن كيف تدعو إلى دين . ولا تهتم به ..  
وكيف تهتم بدين ولا تدافع عنه .. وكيف تدافع عنه بهذه المنشئة ..  
وألقى الأستاذ بالمنشئة في وجه الطالب .

وأرى أن الطالب على حق .. وأن الدين الذي يجيب عن أسئلة  
الطالب ويريدحه هو الدين الحقيقي . ولا أعتقد أن ديناً أوتي من هذه  
القدرة على الإقناع والتنوير بالعقل وبالْحجة مثل الإسلام ..  
ولست هذه الأديان الغريبة المتنوعة إلا محاولة متجددة لبيان أن  
الإسلام أفضل وأبقى وأكثر إقناعاً !

## عصفور لا تعرفه طيور الحديقة !

يقول إن الأديب الروسي تولستوي جمع أولاده الكثيرين في جلسة واحدة وقال : الآن لا أرى منكم أحدا . فأنتم جميعا سواء . لا أفضل واحدا على واحد !  
فأغضب الجميع !..

هذه الديباجة حاولت شيئا من ذلك ، فهي ليست ديبا جديدا . وإنما هي حاولت أن تأخذ من كل دين شيئا وبذلك أغضبت جميع الأديان !..

كان ذلك في إيران سنة ١٨٤٤ . عندما قامت حركة إصلاح دينية وأخلاقية . هذه الحركة تزعمها رجل بسيط متواضع . لا يدعي أشياء كثيرة . وإنما هو فقط يحاول أن يرى المحبة بين الناس . هذا الرجل أطلق على نفسه اسم «الباب» . والتسمية قديمة وهي مأخوذة عن بعض تقاليد الشيعة المسلمين . وكان يعني من وراء هذه التسمية أنها : المدخل إلى شيء .. أو الطريقة .. أو السبيل .. وأنه هو الذي يفتح على ضوء جديد إلى طريق جديد إلى إيمان هادي هاني . ولكن الحكومة الإيرانية انزعجت لهذه الحركة الجديدة . وألقت بالباب في السجن . ثم أعدته سنة ١٨٥٠ . وتبعه مئات من «البابيين» - أتباعه - ألقت بهم الحكومة في ظلام السجون والقبور .



ولكن هذه الحركة لم تهدأ .

وإذ كان البايون قد آمنوا بأن الباب هو رسولهم . فإنهم بسرعة التفتوا حول رجل آخر . هذا الرجل قد بشر به الباب . هذا الرجل هو ابن أحد الوزراء . واسمه ميرزا حسين علي . وأطلق هذا الرجل على نفسه اسم : بهاء الله . وحمل من جديد رسالة الباب . وراح ينشرها بين الناس .

ولكن حدث سنة ١٨٥٢ أن أطلق ضلل صغير الرصاص على شاه إيران وهذا ارتدت هذه الرصاصات الضائقة ألوف المرات إلى رؤوس البايين . وكان لا بد أن يدخل بهاء الله السجن .. ولكن وساطة أبيه وسفير الروسي قد أعطته فرصة للدفع عن نفسه في المحكمة . واتهم بهاء الله هذه الفرصة ليدعو لتدين الحديد . الذي اختار من كل دين زهرة وأقدم حديقة متعددة الأزهار والورود .. ولكن شاه إيران أصدر قراره بطرد بهاء الله . واختار بهاء الله أن يقيم في بغداد . وسار وراءه ألوف من البايين يعيشون على القليل من الطعام والشراب . والكثير من البهاء وأقدم في بغداد عشر سنوات . ولكنه اضطر مرة أخرى إلى أن يترك بغداد . وقل أن يهاجر من بغداد خلا بنفسه في جنة رضوان ١٢ يوم ( ٢١ أبريل حتى ٣ مايو سنة ١٨٦٣ ) - في مكان ما بالقرب من السلمانية .

وهذه الأيام تعتبر من أقدم أيام الديانة الحديدية . وبعدها قرر الهجرة إلى اسطنبول . ومنذ ذلك الحين . أصبح أتباعه يطلقون على أنفسهم اسم : البهائيين .

وفي اسطنبول راح بهاء الله يبعث برسائله إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الدين الجديد . ويطلب إليهم الرحمة والمحبة والمساواة بين الجميع .

وبعد أربع سنوات . ضاقت به الحكومة التركية . فبعثت به إلى فلسطين . وفي فلسطين أقام في عكا . أو أدخلوه قلعة عكا . ومن وراء أبواب القلعة ومن تحتها تسربت تعاليمه أيضا . ولم يهدأ أكثر من ٢٤ عاما . وكانت له سمعة تحققت بعد ذلك بدقة . رغم أنها قبيحت وسجلت في أواخر القرن التاسع عشر ..

وهو في كل ما يدعو إليه . يصدّم الأديان والقوميات . فهو يريد أن يصنّف حسابات الأديان السابقة . ويريد أن يلغي القوميات أيضا . فثار عليه الطوائف الدينية والأحزاب السياسية في كل مكان . ولابد أن مثل هذه العبارات تعضب الجميع : يجب ألا يفخر أحد بأنه يحب وطنه ، ولكن بأنه يحب الإنسانية كلها .

وبن مثل هذه العدة يكفي أن تجيء في أي كتب جميل عسيق . لكي تصدم عين القارئ ، وتصيبه في أعز عزيز لديه .

ولذلك اتهمت النهائية بتخريب الأديان والقوميات . وأنها دعوة كفرة بكل دين - لأنها لا تسلم بدين واحد - ولأنها تحاول أن تأخذ أحسن ما في الأديان وتمدّد المشتركة بينها جميعا . ولذلك لا يشعر أي إنسان بأنه غريب بين هذه الأديان .

.. ولذلك فليهاية ديانة «توفيقية» و «تنميقية» . وهي تحاول أن تصل ما بين الأديان بهدف واحد : هو أن يكون الناس على دين واحد . وأنه لا داعي للحروب والقتل والمفاضلات والحزابات والأحقاد التاريخية بين أتباع الأديان في كل مكان ..

ومهمها كانت نية جهة الله صادقة في ذلك . فإنه يعتبر كافرا بكل الأديان ، مطروداً من رحمتها . وكذلك أتباعه أيضاً .

وتقول المؤرخة الأمريكية روبرا جوتشالك في كتابها عن «النهائية»

إن هذا الدين أقرب إلى سجدة عجمية كبيرة . السجادة لها أشكال  
وأشكال جمجمة . ولكن الذي صنع هذه السجادة لم يشأ أن يجعلها من  
خيوط واحدة مستقيمة . وإنما فضل على ذلك أن يضع فيها خيوط ملاد  
كثيرة . صحيح أن هذه البلاد قد اشتهرت بصناعة السجاد . ولكن  
صانع السجاد لم يفكر في ذلك مطلقاً . وإنما فقط أن يقال إنه أخذ  
من كل شيء شيئاً . وأن الشيء الجديد الذي أتى به هو هذا الاختيار  
أو هذا الابتداء . ولذلك فالذين يفهمون في صناعة السجاد من التجار  
والخوة يرون أن السجادة أبقية ولكنها ليست أصيلة وإنما على الأصح  
«سجادة لقيطة» .

وفي الأدب وفي سياسة أيضا هذه القاعدة : من ليس منا فهو  
غريب

ولذلك خرجت «البهائية» عن وعلى كل الأديان . وجاءت  
محاولات كثيرة من المجتهدين والشراح لإرضاء الجميع ولكن هذه  
محاولات كانت محاولات فقط . ولم تصل بهم إلى شيء . ولذلك  
نزوت البهائية كذبية من ديانات وسط الطريق . أو تحول  
لوسطى . أو تحويل كل أسئلة انتهى إلى أسئلة فترة .  
وفي ديون . كأنهم ليسوا أولادي . لشاعر أمريكي جنتروج .  
وهو أحد الأدباء الساخطين لصاحبين . نجد قصيدة لشاب إيراني  
بهائي يقول :

كسبت هماء الله في رأسي . بها خريطة لكل الجبال ولوديان  
والبحر . إنني لا أعرف لغة أحد . ولكن بسهولة تتفق . مثلاً : ما الذي  
يفعله أي إنسان في الصباح .

إنه يفتح عينيه ويمد يده إلى الطعام ويشكر السماء على أنها أعطته .

أو على أنها سوف تعضيه . كل الناس في كل مكان يقولون ذلك .  
فما الذي اختلفنا عليه .. على حجم المعرفة .. على لون الثراش .. على  
شكل الرغبة وحجمه .. ولكنني أعرف جيداً أين تبدأ رحمة الرغبة  
في جوف أي إنسان . إنه جسم واحد .. وآلام واحدة .. وهذا  
بهاء الله لم يمت » .

وكان بهاء الله هذا رجلاً رقيقاً محباً للحياة والأطفال والموسيقى .  
وكان يعبد الله في زهرة .. أو في ورقة وردة فتبها كل عطسة الله وعطسة  
لنعتاء وللهاء . وورقة في زهرة أعظم من عذبة .. أزواج من جبل ..  
أبهى من عرش .. من كل العروش » .

وفي قصيدة أخرى لشاعرة اسمها مرجريت بوري ويبدو أنها إيرانية  
الأصل تقول :

مثل ريش الطاووس . كل الألوان من كل الأديان .. مثل قوس  
قزح .. كل الألوان جسا إلى جيب .. إنها كل الألوان .. إنها هذا الهباء .  
وفي يوم ٢٨ مايو سنة ١٨٩٢ توفي بهاء الله (٧٥ سنة) ..

ومن بعده جاء عباس أفندي (١٨٤٤ - ١٩٢١) الذي أضيق على  
نفسه : « عبد الهباء ولا بد أن يكون عباس أفندي قد اختار هذه  
لتسمية للدلالة على حالة الرق والعمودية والعذاب الذي يعانيه الهباءيون .  
ولكنهم في نفس الوقت يرفضون أن يكونوا عبيداً لإلهاء الله .. وقد  
رأى عبد الهباء كل أنواع العذاب والهوان وهو يجري وراء بهاء الله من  
مكان إلى مكان .. وينقل هو أيضاً تعاليم البهائية ويحاول أن يقتنع به  
الآخرين .. وربما كان عبد الهباء أكثر وضوحاً من كل سابقه من  
الأنبياء أو المصلحين أو المشيرين الذين بظنهم الله كما يقولون  
عن أنفسهم الواحد بعد الآخر .

وعلى الرغم من أن البهائيين قيسوا العدد في العالم كله ، إلا أنهم أيضا مزقهم الخلافات الصغيرة منذ اللحظة الأولى . ولكن بقي عدد آخر يحمل البهائية إلى أمريكا وأوروبا وآسيا . وأكبر مراكز الدعوة البهائية موجود في أمريكا في ولاية إلينوي . وفي مدينة حيفا بإسرائيل .

وإذا تساءلنا مثلا ما الخلاف بين البهائية والإسلام . وجدنا عدة خلافات أولها : أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس خاتم النبيين . وإنما هو الخاتم الذي تزدان به إصبع من أصابع النبوة . ولذلك ولأنبياء يتوالون الواحد بعد الآخر : إبراهيم ويعقوب وموسى وبوذا وزرادشت وعيسى ومحمد بهاء الله وعبد البهاء .. وهكذا . وهذا خلاف جوهرى مع الإسلام . وهناك طبعا خلافات أخرى . مع الإسلام . ومع كل الديانات التي أخذت منها وعنما البهائية ..

وقد جاء عباس عبد البهاء إلى مصر والتقى به أديبا كبيرا عباس العقاد ودارت بينهما محاورات . ولكن العقاد لم تهبره لديانة البهائية . وإنما رأى فيها اجتهدا ومحاولا لتنشيط الأديان كلها .

ويقول العقاد : إنه تناقش مع عباس أفندي عبد البهاء . وعندما نظر الاثنان إلى النخيل في الصحراء . قال عبد البهاء : ما شاء الله حيث يوجد المطر يوجد الشجر . فقال العقاد : بل حيث يوجد الشجر يوجد المطر .

والمعنى الذي يقصده عباس عبد البهاء أن المطر هو الذي يؤدي إلى حياة الشجر . ولكن العقاد قصد أنه حيث يكون الشجر . فلا بد أن الله قد دبر له المطر ..

الإثنان يتفقان في معنى واحد : أن هناك حكمة وراء كل شيء . هي حكمة الله ..

وبعد وفاة عدس أفندي خنفة حفيده شوقي أفندي .. الذي ظل حارسا للبهائية .

ولبهائية لها كتب كثيرة لها عناوين تدل على فلسفتها مثل : الأبقى والأبقى والأبقى . وفلسفتها هي أنها أحسن ما في كل الأديان وأنها أبهاها .

ولبهائية تدعو إلى : أن العالم واحد . والإنسانية واحدة . والطريق إلى نصدق واحد . ولحق واحد . وأن أسس الإيمان في كل الأديان واحدة والدين يجب أن يكون طريقا إلى الوحدة الشاملة بين الناس . وليس أساسا للخلاف والفرقة بين الشعوب وأن الدين يجب أن يتفق مع العقل ومع العلم . وأن الرجال والنساء سواء . وما دامت لا خلافات فلا بعضاء وما دامت لا بعضاء فلا حروب . ولذلك يجب أن يكون للسلام بين الناس . وأن يكون عالميا . ومن أجل السلام يجب أن يفعل الناس كل ما يقدرُونَ عليه .

وهذه الديانة ليست لها طقوس وليس لها كهنة ولا رهبان ولا قدوسة وإنما يكفي أن يعرف واحد منهم تعاليم دينه ليشرحه للآخرين . ويتألف البهائيون من جماعات صغيرة . هذه الجماعات يساعد بعضها البعض بسبب معروفة . وهذا مجالس صغيرة اسمها مجالس العدل لتفصل بين خلافاتهم ودون أن يرجعوا إلى القضاء أو إلى الدولة .

ثم أعود إلى قصيدة مرجريت نوري تقول : كل عصفورة تحط على عص .. إلا عصفورتي لأنها تفضل أن ترى الأشجار وأن تغرق نفسها في بهاء نور .. وأن تموت في الضياء .. كل عصفورة تعود إلى عشها .. إلا عصفورتي التي جاءت من طهران .. من كل عصفرة أخرى .. إلى كل عصفرة أخرى .. إنها تبيض وتفرح على



أعواد من النور .. في عش من البهاء .. إنها لا تموت .. ولن تموت ؟  
.. ولكن المشكلة أنها ليست عصفورة واحدة . فالبهاية ليست  
عصفورة واحدة .. وإنما هي سرب من العصافير معا .. أو هي ريش  
لطاووس وريش العراب وريش الصقر والعصفور في طائر واحد ..  
حتى أصبحت طائرا غريبا عن كل الطيور في الحقيقة !

## لا سجاير لا خمر لا وطنيّة لا تحيّة لأيّ علم

عندما لا يجد الإنسان تفسيراً لشيء يراه يقول : لا بد أنه عفريت ..  
وعندما يجد بعض المعنى لهذا الذي يراه يقول : إنه كلام فارغ ..  
وعندما يجد كل المعنى لهذا الذي يراه يقول : هذا هو التفسير الوحيد ..  
في استطاعتك أن تقول إن هذا كنه نوع من الغرور الإنساني . ولكن  
أين يوجد إنسان بلا غرور . أو أين يوجد غرور ليس وراء إنسان ..  
ف وراء كل عظيم غرور عظيم أيضاً .. مثلاً : كان القطار متجهاً إلى  
الشمال . وفي إحدى العربات جلس رجل كبير في السن ينظر من  
النافذة وشفته تتحرك بكلام غير مسموع فاقرب منه رجل آخر  
وقال له : لا بد أنك تعاني من مشكلة عائلية هل أقول لك إن زوجتك  
خانتك أو أنك أنت خنتها مع أخريات ..

وسكت الرجل وقال : هل أصبت الحقيقة ؟  
ويبدو أنه أصابها من أول رصاصة فقد مال الرجل إلى جانب من  
المقعد ثم تدحرج على الأرض ميتاً !  
وكان يظن أن حياته سر دفين . وأن أفكاره مدرعة لا ينفذ إليها  
عدو أو متطفل !

أما هذا الميت . فهو الراعي تشارلز تيز رسل ( ١٨٥٢ - ١٩١٦ )

وكان في طريقه إلى إلقاء محاضرة رقم ١٨٥٢ ينشر ، مدينة الجديدة .  
وكان على خلاف شديد مع زوجته . فاتهمته الزوجة بالخيانة . رغم  
أنه من رحل الدين . فقد وافق على الطلاق منها رغم أنه يحرم الطلاق  
على الناس . ولكن الصحف فضحته . وخاف على دينه الجديدة .  
واختار أهون الخطيئتين . فطلّقها . واستدرج الصحف إلى المحاكم  
فحكمت له حتى جاء سئل المتظار هذا . فكان الموت على يديه .

هذا الرابعي رسل من أسرة دينية درس التوراة دراسة واعية وتعمق  
فيها . وقرر بعد دراسة مستوعبة . أن المسيحية قد أخطأت في فهم  
كتاب المقدس . وخاصة الكاتوليك . وأن اليهودية قد حرّفت في  
توراة . وأنه سوف يصحح الأوضاع . ويختار أصبح المعاني وأضبط  
طرق المؤمنين به . وما سئل عن دينه ما قال : متبعة الكتاب المقدس  
والتحقق من كل شيء فيه .

ووجد في الكتاب المقدس كلمة شهيد بمعنى شاهد . والشاهد  
على الحق . أي الدليل الناصع عليه .. والشهيد هو الذي مات من  
أجل الحق وفي سبيله .. فهو شاهد وشهيد .

والتوراة تقول : « كان شهيد الأمين » (الرؤيا ٣ : ٤) .  
« وتكونون لي شهوداً في اورشليم » - (أعمال الرسل ١ : ٨) ..  
« أنتم شهودي تقول الرب أن الله » - (أشعيا ٤٣ : ١٠ و ١٢) ..

ويقول الرابعي رسل إن كلمة شهيد معناها شاهد . فالشاهد والشهيد  
واحد . وأول الشهود وشهداء هو قبيل ومن بعده أخنوخ ونوح  
وإبراهيم وموسى وأرميا ويوحنا المعمدان .. أما المسيح فهو الشاهد  
المخلص الأمين . وكل هؤلاء وغيرهم شهداء وشهود على عظمة الله  
وعلى الحقيقة التي كانت وسوف تجيء بصورة خفية .

وقد اختار الراعي رسل الجماعة أسماء كثيرة من بينها : المتابعون  
لكتاب المقدس .. والمفسرون لكلام الله .. والمراقبون للدين  
الصحيح .. والمنتظرون لمجيء المسيح .

وقد نشر كتابا صغيرة . أهمها كتاب « موضوع وطريقة المجيء الثاني  
لسيد المسيح » . وأصدر مجلة « برج المراقبة » في يوليو سنة ١٨٧٩  
وصدر له كتاب « ضعم لمفكرين مسيحيين » . واتخذت هذه الجمعية  
سمّا جديدا هو : جماعة برج مراقبة التوراة . وأصبح لها أتباع كثيرون  
في أمريكا وفي أوروبا . وكان الراعي رسل هذا لا يكف عن الدعوة له .  
وقيل عنه لو وقف وحده لراح يدعو للجمعية .. وقيل لو رأى صورته  
في المرأة لخنع منظره ليرى شخصا آخر في المرأة ويدعوه . وكان في  
عناية الحيوبة والقوة وبسبب قدراته الخارقة تكاثر المؤمنون والكافرون  
أيضا . واختلف مع رجل الدين ووقف أمام القضاء يدافع عن حرية  
العقيدة والدعوة لها ما دام لا يمس أحدا بسوء . واشتاك مع اليهود  
أيضا وأغضب المسيحيين .

وهو أول من تنبأ بأن سنة ١٩١٤ هي نهاية العالم . وقال إن هذه  
سوءة قد وجدها في الكتاب المقدس . وقد تنبأ بها المسيح في سفر  
مرقس (الإصحاح ١٣ والآيات ٣ - ٣٧) . وكذلك في سفر متى  
(الإصحاح ٢٤ - الآيات ١٠ وما بعدها) . ففي ذلك العام سوف  
يقتل الأخ أخاه وأباه . وسوف يهرب اليهود إلى الجبال . وسوف تشتعل  
النيران ويحل الدمار في كل مكان .. سوف تضيق الدنيا كلها . وإن  
يبقى على وجه الأرض إلا هذه الجماعة . والموتى يدخلون الجحيم .  
والمؤمنون يدخلون النعيم . والجحيم هو القبر والموت . فلا توجد جهنم .  
وإنما توجد الجنة فقط . ويقول أيضا : إن المسيح هو أول مخلوقات

ته . وليس هذا . بل إن المسيح نفسه قل : لأن أبي أعظم مني ( سفر  
يوحنا الإصحاح ١٤ : الآية ٢٨ ) وأن الثالوث المقدس لم يرد في  
سفر يوحنا وإنما أضيف إليه بعد ذلك !!

وفي إحدى محاكم أمريكا وقف الراعي رسل يجادل أحد  
الكاثوليك . قل القس الكاثوليكي : أريد أن أسمع منك هل أنت  
حي ؟ فأجاب : لا .. قل القس الكاثوليكي : إذن كيف تقول إن  
الحنة لأتباعك والجحيم لكل الناس ؟ وقال الراعي رسل : إنها للمؤمنين  
بالتوراة الصحيحة وتفسيرها المخلص ونحن هذا الصنف من الناس ..  
أما أنتم فقد جعلتم الله بشرا والبشر هذا . إنها لعنة كنسية للسخرية من  
عقول الناس وللثراء الفاحش على حساب الطيين .

واشتبك الرجلان ورفعت الحصة . وحفظت القضية لسنة الرابعة  
والعشرين !

وبعد وفاة الراعي رسل جاء القاضي رذرفورد ( ١٨٦٩ - ١٩٤٢ )  
وانتهت بهذه الجمعية اتجاه تورياتي عنيفا . وجعل اسمها "شهود يهوه" ..  
ويهود هو أحد أسماء الله عند اليهود والذي تردد بهذا المعنى ٦٨٢٣ مرة .  
وبدأت أعمال العنف ضد شهود يهوه في كل الدنيا . فقد اتهموا  
بالخيانة والتحسس والتخريب في كل مكان . وطرّدوا وعذبوا وكانوا  
يقولون إن طردهم قد تنبأ به المسيح ( سفر لوقا الإصحاح ٢٣ والآية  
٣ ) وفي سفر ( أعمال الرسل : الإصحاح ١٧ والآية ٦ والإصحاح  
٢٤ : الآية ١ - ٥ ) . بل إن هنتر قد أعدم منهم في معسكرات  
لاعتقال سبعة آلاف من اليهود والمسيحيين . وطرّدتهم النمسا وأستراليا  
وبريطانيا التي هي مركزهم الرئيسي الآن ..

وقد صورهم الأديب الإنجليزي كوين ويسون في رواية طقوس

انقلاب . . . وبسبب لما حركتهم السرية وكيف أنهم ينتقمون من بيت إلى بيت في خوف وخفاء . . . وكذلك يعملون في كل بلد .

أذكر أنني لقيت واحدا منهم في القاهرة . ولم أكن قد سمعت بهم بوضوح . وقال لي مكلف متدعته ومسايرته تمهيدا لاعتقاله . وبعد أيام اعتقلته السلطات وأدخلته السجن . وكانوا من المصريين والأرمن واليونانيين والسنانيين واليهود والمسيحيين . وكانت دعوتهم ضد الثورة المصرية وضد الموقف العدائي من إسرائيل .

وأصبحت حياتهم في أمريكا صعبة جدا . فقد كانوا يتعرضون كل يوم لمظاهرات الناس . وكانوا ينتقمون القلوب والفظط والبيض والطباطم ضاعا يوما . ولم تكن السلطات الأمريكية تحسبهم . وإنما كانت تقودهم إلى المحاكم ليخسروا قضاياهم يوما بعد يوم .

وقد حدث في سنة ١٩٣٤ أن ذهبت فترة تشكو أن أحد رعاة شهود يهوه قد اعتنى عينا . وسألها القاضي . وكيف ؟ قالت الفتاة : لقد ضل مني أن أعمل في أحد مصانع الخريجات التي يمكنها . وكنت في حاجة إلى عمل . ووافقت وسألني أمي : هل هم يهود ؟ فقلت لا . . هل هم وثيون ؟ . فقلت : لا . . وسألها الأم : إذن ماذا ؟ . . فقلت لها : لا دين عندهم . . وقد عرفت واحدة منهم تقول إنها زوجة لستة منهم . وهي لا تريد أن تنجب لأنها لا تعرف من يكون أبها لوليدها !

وقالت الفتاة : وسقطت أمي على الأرض من هول ما سمعت . وعاد يسألها القاضي : وأنت ماذا فعلت ؟ .

قلت الفتاة : ذهبت إلى القاضي ردا ورد وسألته أن يبصرني بهذا اللذين الحديدين . ولكنه لم يشأ أن يقول شيئا . وأشار إلى أحد الأتباع أن



بفعل ذلك . وقت لا بد أنه مستعول أو لا بد أنني لا أحتاج إلى رجل  
 في مثل مقدمه .. إنما يستطيع هدايتي من هو أقل علما منه .. وجاء أحد  
 المؤمنين به . ودعاني إلى بيته . وشرى ورقصدا وأكسب . وتعانقنا . ولم  
 يحدثني عن شيء في الدين . ولما سألته عن ذلك . قال اليوم قبلات  
 وعدا صلات .. وفي بعد لم أجد إلا مزيدا من القبالات . ونجوت من  
 رعبته في الإعتداء علي . عندما استنجدت بأحد رجال الشرطة ! ..  
 ( كتب اعترافات فتة معامرة بلا فائدة - للآنسة ايشيل بلانكتون ) .  
 ولا شك أن كل التهم التي وجهت إلى «شهود يهوه» لها أساس من  
 الصحة . فهم ليسوا مسيحيين وليسوا يهودا . وهم في نفس الوقت  
 لا يؤمنون بالوطنية ولا القومية . فكل إنسان يجب ألا يكون وطنيا وأن  
 ينجل من وطنيته . لأن الوطنية ضيق أفق . لأنه كيف يتعصب الإنسان  
 إلى أنس لا يعرفهم وأرض لا يملكها وتاريخ لم يشارك فيه ؟ .. ثم  
 ما دام هذا رأي الإنسان فكيف يدافع عن وطنه ؟ .. وكيف يكون  
 جنديا وهو جندي من جنود الله ؟ .. إذن يجب ألا يرتدي ملابس  
 الجنود وألا يحارب دفاعا عن العرض وعن الأرض ؟ ولذلك فكل من  
 رفع يده بالتحية لعلم أو لقائد أو ملك فهو وثني . إلا تصنع لك  
 تمثالا منحوتا ولا صورة ما . مما في السماء من فوق وما في الأرض من  
 تحت . وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لمن ولا تعبد من -  
 سفر الخروج ( الإصحاح ٢٠ الآيات : ٤ و ٥ ) . ولذلك دخل  
 «شهود يهوه» كل سجون أمريكا وأوروبا لأنهم مغررون بالشباب  
 ويدعونهم إلى الانسحاب من الجيوش . وإذا أزعموها على دخول الجيش  
 فمن الواجب المقدس أن يثيروا الشك والفرع بين الجنود . وهم ثواب  
 عظيم !

فكل واحد من اليهود يهود يحمل علما من نوع آخر ، في جيش من نوع آخر . وفي حرب من نوع آخر : إنها حرب المعركة القاصدة بين الخير والشر إنها معركة أرمجدو الحديد ضد أعداء الله . ولذلك فهو لا يمكن أن يكون جنديا في جيشين وعبدًا لإلهين ومحاربًا في معركتين . وهذا هو أيضا رأي كل الدول . إن جيشها هو الجيش ، وإن حربها هي الحرب . لذلك لا بد أن يكون المواطن محاربًا معها لا عيبًا . وهذا وليس ضدها . ولذلك أدخلوا السجن وحكموا بتهمة الخيانة والكفر . ودخل الرجل والنساء يرفعون أعلاما لا شكل لها .. ولونها أبيض ، ولكنها رغم ذلك أعلام .

وأصدر القاضي رذرفورد كتابا طبع منه عشرين مليون نسخة يطالب فيه بالتصفية النهائية لكل سرور الشرية ولا سجن ولا خمول . وبهذا الكتاب وقع في حرب عنيفة مع شركات العنية حدا للتجارة لدخان في أمريكا . واستطاعت هذه الشركات أن تقضي على كل مشاريعه التجارية .

لقد كانت له مصاع فحم وضوب وزيت . واستطاعت شركات لسجن بحبيها الدكية أن تقفل أبواب هذه المصانع الواحد بعد الآخر ..

وفي إحدى المحاكم استدرجه القاضي إلى أن يكتب الحروف الأبجدية اليونانية . ولكنه لم يستطع . وكانت فضيحة دينية كبرى . فن نادى ألا يعرف رجل الدين الأبجدية اليونانية واللاتينية والعبرية والقبطية والسريانية والآرامية .

وأدخل رذرفورد السجن لفترة طويلة .

وقد اعتمد «شهود يهوه» على الأساليب لعمية المدنية في إقناع الناس . استخدموا «سبي» وأشرطة التسجيل . واستطاعت إحدى الشركات أن تستدرج عددا من الشهود يهوه «لتخريب هذه الجماعة . فحينما عرضت «شهود يهوه» أحد أفلامها الدعائية في ولاية كاليفورنيا . فوجئ الناس بفيلم جنسي عريين تماما وأن هذه الأعمال الجنسية المشائنة قد تمت كنه تحت «تصليب» . وأن المسيح نفسه قد تحرك على صليبه مبركا ما يرى من دعارات - كما تقول الأنسة ايشيل بلانكتون في كتابها عن «شهود يهوه» . وظهر فيلم آخر في شيكاغو عن تربية الأغنام وكان معنى الفيلم «أن الأنبياء جميعا كانوا رعاة للأغنام . وأن رعي الأغنام تدريب سموي ضم على الصبر والتواضع وقيادة القطيع الدور في وجه ذئاب الطريق» . ولكن لم تمض دقائق من الفيلم . حتى اكتشف متفرجون أن هذه الأغنام ليست إلا شبانا وشابات قد لبسوا قراء الحراف وخدعوا القراء وارتجفوا على أنغام موسيقى رقصة جديدة اسمها : «الحمل والذئب» وكانت الفتاة هي التي تقوم بدور الذئب . أما الفتى فهو الحمل الوديع الذي ينظر إلى السماء لعلها أن تبعث له من يخلصه من الرذيلة !

وحمل «شهود يهوه» كل الأفلام المعروضة في أمريكا . ولم يطق القاضي رذرفورد هذه المضيحة فوات هو أيضا بين كان في سيارته . ومن العريب أنه هو الذي كان يقودها . فوقف في قلب الميدان . وراحت السيارات تصرخ وراءه . وكانت هذه الجذارة الوحيدة التي أقيمت له . وأصبحت وفاته معروفة عند كل الناس . وقالوا إنه هو الذي أراد ذلك . وأنه هو الذي حفظ إلى هذه الوفاة في أوسع مكان . ولم تسكت الهيئات الدينية على وفاته . فقد نشرت الصحف

الكاثوليكية خبر وفاته في شامة مقدسة . عندما نشرت آيات من سفر  
امتى " و مرقس " تقول : إنه سوف يجيء أنبياء كذبة مضلون ..  
وهذا هو آخرهم إن شاء الله !

## أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ اتْرَكُوا لِي هَذَا الضَّوءَ الْخَافِتَ !

بدأ رحلة الحكمة ومعرفة أسرار الكون بزيارة مدينة دمشق وفي دمشق قابل عدداً من «العلماء السريين» . وقد أطلعه علماء دمشق على سر تحول المعادن بعضها إلى بعض ثم إلى ذهب .. وجاء إلى القاهرة وزار أسوان . ولقي في الأزهر عدداً من «العلماء السريين» . ولكن رجلاً في القيوم أمسكه من كتفيه وقال له : كل ما علمتكَ اذهب وانشره . واجعل الناس يدقون الباب . لا تدق باب أحد . فالجاهل يجب أن يبحث عن العالم . والعالم يجب أن يزحف إلى الحكيم . والحكيم يجب أن يقول للجميع ما تعلمه .

وعاد إلى الدنيا . وفي الدنيا اتخذ له كهفاً . وفي الكهف التقى بثلاثة من المؤمنين به . وقال لهم انتشروا في الأرض . وليمت كل واحد في بلد . ولا خوف على واحد منكم : فمن يعرف الجوع ولا العطش ولا المرض . إن الله قد أعطانا المناعة ضد كل آلام البشرية . ثم جاء إليه ثمانية آخرون . وعاش هذا الرجل في كهفه ١٠٦ سنوات فتوفي سنة ١٤٨٤ .

ولم تعرف حياة هذا الرجل إلا في سنة ١٦١٣ عندما ظهر كتاب عنوانه باللاتينية يقول : «محاورات شخصية مع جماعة الصليب

الوردى . هذا الرجل الأدي اسمه كريستيان روزنكرويس . وفي هذه  
المحاورات يروي رحلاته في الدنيا بحثا عن الحكمة . وكلمة  
«روزنكرويس» الدنية ومعناها «التصيب الوردى» . ويقال إن هذه  
الجماعة الدينية قد نسبت إلى هذا الرجل ويقال إن هذا الرجل لا وجود  
له . ويقال بل عاش ومات في الوقت الذي حدده . قل : سيموت في  
الشهر والنسبة التي مات فيها . وقل أيضا ينصح تلامذته : يجب أن  
تظل هذه المغارة سرا لا يعرفها أحد إلا بعد است عشرينات من  
السنين» - أي مائة وعشرين عاما .

وعندما عثروا على التابوت الذي دفن فيه وجدوا لوحة نحاسية  
تقول : أيها الأحياء اتركوا لي هذا الضوء الخافت !  
ومن الغريب أنهم وجدوا في الكهف شمعة مضاءة . ووجدوا عددا  
من المصابيح والمرابا وأشياء أخرى لا يمكن معرفتها ..  
ويقال أيضا إن كريستيان روزنكرويس هذا كان شخصية بهرة .  
وكان اعتقاده خليط من المسيحية واليهودية وديانة اخداتون وبعض  
الحكم الإسلامية . وكان هذا الدين يطلب من المؤمن به أن يكون  
بسيطاً زاهداً في الدنيا . وأن الزهد هو الطريق إلى الاعتماد على النفس .  
وليس على الطعام والشراب . وليس على الآخرين . لأن الذي يأكل  
أكثر يجوع أكثر . ولذي يأكل أقل . يشعر بالجوع أقل . وتصبح  
احتياجاته في الحياة ومن الحياة ضئيلة لا تستعبده ولا تحي ظهره  
لغيره أو لحاكمه . وكان يطلب إلى الناس أن يعالجوا المرضى مجاناً .  
وأن يؤمنوا بأن الشفاء أكيد .

ولم يعرف أحد في فرنسا أو ألمانيا من هو رئيس هذه الجمعية أو من  
هم أعضاؤها - وقد اعتدوا أن يزوروا الهرم الأكبر في الجيزة كل



سنة . وأن يصوبوا في عرفة امك - أي العرفة التي يقال إن الملك خوفو قد دفن فيها - وإن كان أحد من العلماء المعاصرين لا يوافق على ذلك . ويقومون بطقوس الصليب الوردي سرا دون أن يراهم أحد ..

وقد اندهش سكان باريس في نهاية القرن الثامن عشر لإعلان مصق على أحد الحدران يقول : نحن جماعة الصليب الوردي . أنت لا تعرف . ولن تستطيع . نحن ندعوك إلينا . لا إلى زيارتنا ولكن لسير وراءنا . وليس لنا مقر . ولا طريق . ولا مركز . لن تعرفنا ولكننا سوف نعرفك . وفي الوقت المناسب سنلتقي بك ونحملك الأمانة . وهي سرية وسوف نتأكد من أن الذي يعرفه كثير . وأن العقل السامي قد خصنا بذلك . لأسباب سوف نشرحها لك . فلا تشغل بالك إلا بأن تكون قويما مستقيما راعيا عن كل شيء بذل كرامتك . ويحني رأسك وظهرك . أنت أعظم من هذا . وأعظم من أن تتصور . ولكنك لا تعرف ذلك» .

وقيل بعد ذلك إن المؤسس الحقيقي لهذه الجماعة الدينية ليس روزيكرويس ولكنه الطبيب السويسري الذي أضيق على نفسه اسم باراسيلسوس واسمه الحقيقي فون هوهنهايم (١٤٩٣ - ١٥٤١) وكان هذا الرجل لا يؤمن بالطب الذي جاء في كتب جالينوس والرئيس ابن سينا . وإنما يرى أن الإنسان يجب أن يتعلم من الطبيعة . وأن يعالج الإنسان بما أسنته الأرض . فله الذي خلق الداء خلق الدواء . وليس على الطبيب إلا أن يسأل المريض وأن يسرف في السؤال . فلا يمكن أن يكون جالينوس قد عرف كل داء . ولا ابن سينا عرف كل دواء . فهناك الكثير جدا لا يعرفونه . ويجب أن يعرفه نحن . ولذلك لم يسترح إليه المرضى ولا الأطباء فهاجر من سويسرا إلى بلاد كثيرة .

ويقول إن رحلات هذا الطبيب هي التي ظهرت سنة ١٦١٣ ويست  
في روزنكرويس . ولكن ليس بعيدا أن تكون من مؤلفات الطبيب  
السويسري ويقال من مؤلفات رجل إنجليزي آخر .

ولكن لا يزال كريستيان روزنكرويس هو صاحب الكلمات  
مخصصة والمخصصة لهذا الدين الجديد . ففي المعركة التي وحدثوا فيها تدميره  
عثروا على لوحات من النحاس مكتوب عليها :

١ - لا شيء فارغ من أي شيء .

٢ - لا أحد يستعبده القانون .

٣ - من الضروري تحرير الدين من كثير من العصوص والخرافات .

٤ - المجد لله وحده !

والمؤسسون لهذه الجماعة الدينية عددهم ثمانية ورقم تمانية له سحر  
قديم . فهو رقم كوكب الزهرة ذات الشععات الثمانية . ولا تزال  
النظرية الكونية الشككية التي تقول إن الإنسان قد هبط من كوكب  
الزهرة نظرية واسعة الإشتار إلى أن تظهر نظرية أخرى تنفي بها  
من فوق !

ومن اهتمام روزنكرويس التي أورثها أتباعه والمؤمنين أنهم قادرون  
على تحويل المعادن إلى ذهب وأنهم استطاعوا ذلك . ولكن لأنهم  
زاهدون في هذه الدنيا فهم لا يسرفون في اقتناء الذهب . ولذلك لا  
يحد واحد من أتباع الطبيب الوردي له عمل أو وظيفة أو مهنة .  
لماذا ؟ لأنه يملك الذهب ولا يستغله ..

ويرى روزنكرويس أن أتباعه قادرون على أن يروا ويسمعوا ويشموا  
عن بعد بسبب شدة فيهم وقدرتهم الخارقة على التركيز . وهم أيضا  
قادرون على استخدام لأرواحهم في معرفة أسرار الكون . ومن الضروري

أن يتقوا مرة كل سنة ، ينضفوا معضهم على الحديد الذي حصده في هذا الكون . ولكي يختاروا رعيما للجماعة ويقسمه على الأعمدة والصليب أن يحتفظوا السر حتى الموت . وقد وفوا جميعا بهذا الوعد ! وجاء أيضا في كتاب الطبيب روبرت فلود (١٥٧٤ - ١٦٣٧) أحد أعمدة الصليب الوردي ، أن هذه الديانة قديمة جداً . وأنها ترجع إلى سيمون ومسيح وأفلاطون وفيثون الإسكندري اليهودي وأفدوطين المصري الصعيدي وإلى جماعة لأطهار الذين كان يتردد عندهم المسيح - كما جاء في مخطوطات البحر الميت . ويقال أيضا إلى أخناتون . الذي كان يعرف من أسرار الكون الكثير ولكنه أوصى كهنته . وأوصى هو أيضا . ألا يقول شيئا . فلم يحس الوقت بعد !

ومن آراء جماعة «الصليب الوردي» أن هناك دورة طولها ١٠٨ سنوات . يستط فيها الذين ويحمل . ولكن أحدا لم يشأ أن يكشف لنا سر هذه الدورة وماذا هي هذا العدد وليس بعدد آخر . ولكن استطع أئمة هذا الدين أن يسجلوا التاريخ في كل عصوره ويقسموه إلى دورات هذا الطول . وهم يعتقدون أننا الآن في الدورة النشطة حتى ١٩٨٥ وبعد ذلك ندخل في مرحلة «الزوم» أو «اليات الشتوي» هذا الدين القديم .. وإن كانت دورة هذا الدين قد بدأت نشاطها في أمريكا سنة ١٩١٥ وستدخل في مرحلة الخمول سنة ٢٠٢٣ .

وقد اجتذبت هذه الديانة عددا كبيرا من العظماء - انضموا إليها أو تسلموا ليعرفوا حقيقتها . فأتان من الفلاسفة العظام حاولوا ذلك . فيلسوف الألماني ليبنتس والفيلسوف الفرنسي بيكرت . وكذلك الإمبراطور عليوم الثاني (فريدريش فيلهلم الثاني) وويليول بونارت .

بل إن نابليون قد التقى في القاهرة بعدد من « العلماء المصريين » . وتحدث إليهم طويلاً وأطلعوه على مستقبل حياته . بل إن واحداً منهم هو الذي حذر نابليون من قائد الإنجليزي نلسون . ولذلك هرب من القاهرة عائداً إلى فرنسا . ولم يستطع أحد أن يهتدي إلى سفنه !

وفي القرن الثامن عشر استطاع الوزير الألماني فون فيلنر ( ١٧٣٢ - ١٨٠٠ ) أن يشرح هذه المدينة بصورة عجيبة . فقد خرج على تعاليم ندين . وراح يتتقى بالناس ويعرض عليهم بعض الأسرار التي عرفها . وآمن به الناس . وقالوا . نصاب .. أفق .. وقالوا : ساحر .. نبي ! ولكن الوزير مضى في إقناع الناس بالبقاء والدواء والشفاء . فمن الحيل التي لجأ إليها أمام أكثر من ألف رجل وامرأة . أنه طلب منهم أن ينظروا إلى السماء .. وأطأوا النظر . ولكنهم لم يروا شيئاً . واستطاع أن يصرح فيهم أن يواصلوا النظر إلى السماء . وبدأ الناس يقلقون ويضيقون به . ولكنه وقف أمام الناس وقد علق الصليبان والورود وهو يقول : إذا كفرتم فليس جديداً . فالإنسان كافر بما لا يعرف . متمرد على ما لا يفهم . والإنسان مغرور يتصور أنه يعرف كل سر وكل رمز .. ندما كأنه إله . أو كأنه الله .. ولكن الآن .. فقط . أدعوكم إلى أن تجلسوا بعض الوقت !

وحين حاول الناس أن يجلسوا وجدوا تحتهم ألف مقعد .. وصرخ الناس . وقال لهم : انهضوا حتى أكمل كلامي !

ووقف الناس بسرعة . ووقف الوزير صامتا ليقول : ليس عندي ما أقوله . ولم يجد الناس لا المقاعد ولا الوزير !

وظهر رجال كثيرون كنهم من المشتغلين بالعلوم والطب . أهمهم نقيب أدست توتيه ( ١٩٢٤ - ..... ) . وقد أصدر كتاباً بعنوان

الطريق إلى المصنر . يقول في المقدمة : « أيها القارئ أنت لست أمام دين حديد . ولكنه دين . وليس لهذا الدين أنبياء ولا كتاب مقدس . ولا كعنة ولا حائط مسكى ولا تمثال . ولكن في أي مكان تستطيع أن تضع لوردة على رأسك وتصليب على صدرك . وفي هذه اللحظة تكون قد أخذت نفسك معداً ولك أن تتجه إلى أية وجهة . فالذي تبحث عنه في كل مكان وفي كل اتجاه » .

ويقول أيضاً : « إن النكون مليء بالأسرار والأعز . بعضها سوف يفتح وينفض ويكشف عندما تنمسه بأصبعك . ونكك لا تعرف ذلك . سليمان فعل ذلك . عيسى فعل ذلك . وأسرار أخرى لا تتبعها إلا إذا روضت جسمك وروحك على أن تكون أخف من جسمك .. أخف من هومك .. وتستطيع ذلك . أنا استطعت وألوف آخرون . لا تقل إن روحك هي السب . أتركها فوراً . ولا أولادك أتركهم أيضاً . لا أحد يشغلك عن الحقيقة . قد فعل من قبلك رهبان الكنائس وكهنة الأهرامات . وأطباء ومرضى وقواد . بك فرد في جيش كبير لا يحمل سلاحاً على أحد . ولكن على الجهل والغرور والطمع والأدنية والسلطة والقسوة والظلم » .

والضبيب توتهاام نفسه قد طلق زوجته بعد أسبوع من الرفاف . وعندما أعطته زوجته ولداً أعدها إليه وبعد أن بلغ الولد عاماً طلق أمه وترك لها الولد . وتزوج لثاني وثالث وسابع مرة . وشكاه الناس . واتهموه بتعدد الزوجات . وكانت حخته أنه ليس مسيحياً ولا يهودياً . وأنه هو الذي يضع قانون دينه والمؤمنين به . ولم يقع أحد . ولكن أتباعه يفعلون ذلك سرا .

ويقال إن كريستين رورنكرويس قد تزوج ثلاثاً . واحدة من

دمشق وواحدة من القاهرة وواحدة من فاس . وطلب من كل واحدة أن تكتب بخط يدها : «أهـ» قررت أن تنفصل عنه لأسباب دينية ! ولم يشأ أن يترك أحدا يخص ما إذا تركن راهب المغارة . أهـ الفلوس أهـ الحجر الطويل .. أو هو ضيق المغارة أو هو الزهد في الجسد .. ولذلك ظل الزواج من ثلاث ونطلاق مهن أيضا لغزا . ويقال إن روجاته الثلاث ذهبن يمشرن - للدين الجديد . وفي وثيقة نشرت حديثا كشف أحد رجال «الصليب الوردي» أن ثلاثين قتل قبل أن يعدن إلى بلادهن - ولا بد أن أحدا من أتباعه هو القاتل ..

وهذه الجماعة الدينية لها أتباع في أماكن كثيرة . وهم يحجون كل سنة إلى هرم خوفو .. أو إلى مكان ما بدمشق . ويمكن ما بفاس .. هذه هي الأماكن المقدسة الثلاثة . وفي كل عام يذهبون من بلاد مختلفة إلى أداء الحج والمباركة والتعميد وتقسيم على الولاء للدين وكتمان كل أسراره . وإخفاء أسماء الأعضاء والزعماء لروحي لهم . وإذا أباح واحد منهم بذلك لم يعد عضوا . ومنهم استعمر فلا عفو عنه ! وجماعة «الصليب الوردي» يؤمنون بأن بين سكان الأرض أناسا أو كائنات أعظم عقلا «هبطوا» من السماء من كوكب الزهرة . وأن أحدا لا يستطيع أن يراهم إلا إذا كان من جماعة «الصليب الوردي» . وهذه الكائنات الأعقل موجودة على كل المستويات وهي وحدها التي تعمل على تطوير سكان الأرض بحساب شديد . ولولاهم لهلكت الأرض بما ومن عليها . فهم الذين يمسكون الأرض حتى لا يستلعتها المحيط . ويشهدون حذبيتها إلى الشمس حتى لا تطوح في الفضاء كتلة من الذرات المشتعلة !



## مَنْ قَالَ إِنَّكَ تَعْطِفُ عَلَى الْآخَرِينَ ؟

هذا الطفل يتيم كان في السابعة من عمره . اقتربت منه سيدة عجوز . وقالت : ما الذي يبكيك ؟ فقال : الناس .

— ماذا فعلوا بك ؟

— لا شيء ..

— ما الذي فعلته بهم ؟

— لا شيء ..

— إذن لِمَ لا تكف عن البكاء ؟

— رأيت الله فقال إنني مجنون ..

— آه .. عرفت يا ولدي . نلت وحدك المجنون يا ولدي . كما

كذلك .. فهذا مجنون مال . وذاك مجنون شهرة .. ومجنون جنس ..

ومجنون حقد .. وأنت مجنون بالله ! ..

وبعد ذلك رأى الطفل ربه كثيرا في النوم . لم يكن يعرف بالضبط

ما هذا الذي رآه .. كان يصرخ قائلا : نور .. سماء .. محيطات ..

دخان .. سحب .. برق .. رعد ..

ثم يسقط على الأرض عارقا في عرق بارد . فاقدا للنطق . ويظل

هكذا حتى نجىء أحد ويمنه ويلقيه إلى جوار الحائط . وعندما يفتق  
من غيبوته يحد نفسه في حضن أمه تحت أكداس من الأغطية  
منسقة . فهو فقير ابن فقير ابن فقير جذوري في الفقر ضاربة  
حتى آدم الذي هبط من السماء عاريا تماما . ولا أزال أحتفظ بذكره  
لخلدة على جسدي .. وأنا عريان تماما إلا من غطاء الإيمان بأن النقر  
حرية . والجوع حرية . والعطش حرية . فأنت لا تحتاج إلى أحد .  
أو إلى شيء من أحد» .

هذا الطفل العتري الهندي هو رام كريشنا الذي ولد في كركنا  
سنة ١٨٣٦ .. أمه أسرتة فهي لا تهم - لا دين أبيه ولا فقر أمه . ولا  
وفاء الجميع بعد ذلك - لأنه مختلف تماما منذ البداية . فقد درس  
كما يدرسون . ولكنه لم يضع وقته في الدراسة . وإنما وجد نفسه  
هارباً من الجدران الأربعة : البيت والمعد . وأقام على جنب من أي  
شرع . وعلى مسافة من أي بيت . ويقول مسافة ذراع واحدة ..  
امدد يلك وتسوف طعمك .. على مسافة ذراع واحدة . امدد يلك  
وصدح الناس .. هذه المسافة تكني لأن يكون بينك وبين الناس  
سلام» .

وعندما بلغ ثلاثة وعشرين من العمر . زوجته إحدى قريباته .  
وكانت فتاة في الخامسة - نعم الخامسة كما قرأتها .

هو هندوكي ما في ذلك شك . ولكنه أراد أن يجعل الدين أوسع  
من الهند . وأن يجعل مؤمنين ملايين آخرين غير الهند . ولذلك كان  
يقول عن نفسه إننيؤمن بأصول الأصول . أي أنه لا يؤمن بالديانة  
هندوكية ويقدر الحلال والأنهار والحيوانات والأجداد . ولكنه  
يؤمن بأن العقول والقلوب كلها تتجه إلى قوة واحدة . هذه القوة وراء

كل شيء وكل إنسان . وكل دين .

وقد اتخذ كتب الفيدا دليلاً وهدى . واتخذ هذه العبارة خيطاً ذهبياً في نسيج ثوبه الديني : الوجود .. الوعي .. النعمة .. الله هو الوجود والوعي والنعمة . فمن عرفه . عرف كل شيء . ومن تجده . جهل كل شيء . ومن الخيوط البارزة في ثوبه الديني أيضاً : أن كل شيء ظاهر . هو شيء فان . كل ما تراه يفنى . كل ما تسعه يزول . كل ما تلمسه يتلاشى .. وأنت أيضاً - إلا الله !

وكان رامنا كريشنا يدعو المؤمنين إلى التنقل من بلد إلى بلد . يدعو إلى الزهد في الحياة . وإلى تجاهل الفوارق بين الناس : اللون والبطقة والدين والجنس .

وهذه البداية التي دعا إليها سميت فيما بعد باسم حركة رامنا كريشنا وانتشرت في أوروبا وأمريكا .. وإن كان هو لم يفعل لها شيئاً . وإنما كان يقول : ورائي ما دمت نافعا .. ورائي ما دمت محباً للسلام .. ورائي ما دمت لا أرى ورائي أو أمامي !

وكانت أمام رامنا كريشنا بلاده العظيمة العريقة : الهند . وقد تمزقت ألوف الألوان والأشكال والسمات والخطوات والكراهية والحروب والدماء . ملايين الناس تربطهم الكراهية ويجمعهم القتر ضد كل ما هو خير وسلام للهند .

ومن الطبيعي أن يظهر في الهند من ينكر هذا الهوان القومي . وينكر الاستعمار البريطاني للهند . ومن يدعو الشعب إلى أن يسمو على كل شيء ، وأن يتسامى بتاريخه ومقدساته . وإلى أن يشعر أنه عظيم . ولكن الحقيقة أعظم . وإلى أن الشعب إذا بقي فإن الله أقوى . وإن أن ثراء قوة . ولكن الزهد أقوى . وإلى أن العائلة والقبيلة والعصبة

آمن ، ولكن الفرد وحده أقدر من الجميع ..

وقد درس رامنا كريشنا الإسلام . وارتدى ملابس المسلمين . وقل إن الإسلام حق . ودرس الديانة المسيحية ورأى المسيح في نومه . ورأى العذراء وابها على صدرها . ورأى نفسه على صدور أمهات سماويات . وتلفت إلى كل معالم تقداسة في كل دين . وعرفها . وأدار قلبه إلى كل وجهة . ورفع رأسه عالياً ليقول : إن الله حق . وكل شيء ما عداه باطل باطل ..

ومن أسس «حركة رامنا كريشنا» :

١ - أن الله وحده حق .

٢ - إذا أردنا أن نؤمن بالله . فيحب أن يعيش الإنسان من أجل هذا الهدف .

٣ - لله وحد . ولكن الله له ألف اسم . وله ألف رسم . ولله ألوان وأشكال متعددة لا نهاية لها . ولكن الله نفسه ليس إسم ولا رسم ولا شكلاً ولا حجماً .

٤ - اختر لنفسك أي إسم .. واختر من صور الله وأشكاله وألوانه . أي صورة وأي شكل وأي لون .. واعبد الله . فهو في كل شيء .

٥ - لم يخطئ أحد من الذين قبلوا . ولم يخطئ أحد من الطيبين من بعدي . فهم جميعاً قد اختاروا هدفاً واحداً . ولكن لهم عشرات السبل .

٦ - الأديان كلها منسجمة . ولكننا لا نرى ذلك - أو لا نريد أن نرى ذلك .

٧ - الله يظهر في كل شيء . أو كل شيء هو مظهر من مظاهر الله .. السماء ثوبه .. الأرض ثوبه .. هو هذه الأشياء وهو وراءها

وأنت يجب أن ترى الله في كل شيء ..

وفي يوم قل واحد من تلامذته : أريد أن أعطف على كافر بديننا

فهل هذا يجوز ؟

فصرخ رام كريشنا قائلاً : من لذي يستطيع أن يعطف على أحد ؟  
أنت لا تعطف على أحد .. أنت تعطي ما أعطاك الله .. أي تعطيه  
لصورة من صور الله .. أنت تعطي الله ما أعطاك الله .. فهو صورة لله  
وأنت أيضاً .. أنت صورتان وما سوف تعطيه صورة ثالثة .. والله ..  
الله . الله !

وقمت في الهند قبله وبعده ديانات أو حركات دينية تأخذ من  
بعضها البعض . وكان رام كريشنا يكره ذلك . ويقول : إنني أفضل  
الوردة على بقعة الورد . والوردة لها جذور لها أصول . ولكن بقعة الورد  
ليست لها أصول . ولا جذور . إنها مجموعة من أشياء اقتلعت من  
أشجارها وأرضها . ولم تعد قادرة على الحياة .. إن شجرة ورد واحدة  
خير من ألف وردة في بقعة ورد .. وكان يقول : إن حبة قمح تنبت  
شجرة .. ولكن حفنة من الدقيق لا تنبت قمحاً .. إن البيضة يخرج منها  
الكتكوت ولكن ، لعجة لا تخرج الكتكوت . ولذلك يرى أن دينه  
الجديد هو دين الأصول . دين شجرة الورد الواحدة وذررة القمح  
وبيضة الدجاجة !

وسار وراءه ملايين في الهند وفي غيرها . ولكن ديانة رام كريشنا  
لا تريح الناس . لأن الناس يريدون أن يكونوا أقل فلسفة وأكثر حية .  
يريدون أن يمشوا وراء رجل له قدرات إنسانية خارقة . وهو في نفس  
الوقت إنسان بسيط يجوع ويتعذب ويتألم .. إنسان يستطيع ما يستطيعون  
ولكنه ليس أقوى من كل الناس .

يريدون سبيلا واضحا سهلا إلى معبد . إلى رجل يسألونه أن يقول  
لهم . وأن يجدوه دائما . يريدون أن يجدوا كتابا يعودون إليه . كلما  
ضربتهم الحياة وأوجعهم الناس . وألجأهم الفقر إلى الكفر . ورماهم  
الكفر على الجريمة . ولكنهم لا يجدون ذلك في « حركة رام كريشنا » .  
ورغم هذه الفلسفة الهندية الرائعة فإن رام كريشنا ما يزال هندوكيا  
وثنيا .

ويبدو أنه لم يشأ أن يعلو على كل العقول قهر ب منه . فظل قريبا  
من الأرض ليرى الناس ويروه !

وكان رام كريشنا صاحب محاضرات روحية عميقة . وصاحب  
غيوبة باهرة . كثيرا ما كان يغيب عن الوعي أياما مفتوح العينين .  
يرى ما لا يراه أحد . ويسمع ما لا يسمعه أحد . وفي نفس الوقت  
في غاية السعادة والأمان . وكثيرا ما جاء تلامذته وأيقظوه ليأكل  
أو ليشرب .

ويصف رام كريشنا كيف أحس بالنعيم والرحمة والجلال في لحظة  
واحدة . يقول : في تلك الليلة أحسست كأن قلبي فوطة مبللة وأن  
هناك يدا قوية لا حدود لقوتها تعصرها عصرا . ومنذ ذلك الحين وأنا  
لم أعد أطيق البعد عن هذه القوة الخفية . أقدم لها نفسي وجسمي كل  
ليلة لتأخذني وتعصرني وأجد حياتي في فئائي بين أصابعها . . وفي مرة  
قررت الإبتحار لأنني أريد أن أذهب إلى ما وراء كل شيء . إلى ما  
وراء وراء . وذهبت إلى المعبد ووجدت سيفا . وأخذت السيف  
ورفعت فوق عني . ولكن يدي تجسدت في مكانها فوق رأسي .  
ورفعت رأسي لأرى : أمواجاً من النور في كل مكان . . سحابات  
من المهجة في كل مكان . . طوفانا من النعمة في كل مكان . حاولت



.. أنتنفس ولكنني سبت كيف كنت أنتنفس وبأي شيء أنتنفس .  
وم أعرف حتى معنى أنتنفس . ولا وجدت ضرورة له . سقطت على  
الأرض لا أشعر بشيء حولي .. أي شيء .

سأله أتباعه : وكيف أعطيت هذه الموهبة يا معلمنا ؟

وكان رد رام كريش : سألت رجلاً حكيماً يوماً ما .. فأمسك  
قطعة من الخبز وضميربي بين حرجبي وقل لي : ركز تفكيرك هنا !  
وأسرع واحد من تلامذته وفعل ذلك بسرعة . ولكن رام كريشاً  
قل له : ولكن يجب أن تركز تفكيرك حتى تنسى أين تركزه . وحتى  
تنسى من الذي نصحك بذلك !

وسأله واحد من أتباعه : لماذا نختلف معاً يا معلمنا ؟ فأجاب  
رام كريش : نحن لا نختلف ولكننا ندو كذلك .. إننا جميعاً نقف  
على شاطئ بحيرة واسعة .. كل واحد يملأ إناءه منها . بعضها يضع  
الإناء بالقرب من الشاطئ .. وبعضها يضعه بعيداً عن الشاطئ ..  
بعضها يملأ الإناء وبعضها لا يملأ الإناء .. وبعضها له إناء شرف ..  
وبعض الآخر له إناء ليس شرف .. ويكبر الإناء ويصغر .. وترتفع  
به الأيدي .. أو يكون أثقل من الأيدي .. الماء واحد .. والبحيرة  
واحدة .. ولكن الناس لا يرون بوضوح .. أو لا يحبون أن ينعوا  
ذلك !

وسأله واحد من تلامذته أيضاً : لكن لماذا لا ترى ما ترى يا  
معلمنا ؟

فقال : ما دامت هناك السحب فالشمس لا تدفئ أحداً .. ولكن  
إذا ذهبت السحب . جاء المور . فإذا ذهبت أوهامك الإنسانية  
أضاءت نفسك . إذا راح عنك الطمع والخوف والكراهية والعزور

والأثنية .. فهذا هو اليوم الصافي .. أو العمر الصافي ..  
وسأله آخر : كيف لكسب الناس يا معلمي .. إن القليلين ينضون  
إلينا ؟

فأجاب رام كريشنا : إن القليلين ينضون إلينا .. لأننا لا نعد  
لنفس شيء .. لا بطعم ولا شراب ولا كساء ولا سقطة .. ولو عرف  
الناس لجاءوا إلينا وساروا وراءنا في طابور المتسولين الذين يطلبون من  
الناس ما أراد عنهم من طعام قليل .. ولكن بهذه القدعة وبهذا  
التواضع به .. سوف لكسب في النهاية .. إن الإنسان المليء هو الذي  
يتواضع ونحن كذلك .. قد امتلأنا بالحب والرحمة والقدعة والسلام ..  
إننا مثل شجرة كبرت ثمارها فتدلت أغصانها وتواضعت !

وكان رام كريشنا يقول لأتباعه : لو أخطأ أي إنسان ، فقد  
أخطأ .. ولكن لو أخطأت أنت .. لكنت خطيئتي رهينة .. لكنت  
مصيبتي فادحة .. وكنت فضيحتي تاريخية .. هي الخطايا التي لم  
يرتكبها خادم الأمير ؟ كل الخطايا .. ولكن الأمير إذا أخطأ ، فغضبة  
الأمير هي أيضا أميرة بين الخطايا .. تماما كالبقعة السوداء في الثوب  
الأبيض .. إنها بادرة صارخة .. ولكن البقعة السوداء في الثوب الأسود  
من يراها ؟ فمحن أبواب بيضاء ويريدها بلا بقع ولا خطايا !

ولم تكن حياة رام كريشنا سهلة .. كنت في عاية القسوة ، جسيما  
ومغسبا .. ولم يستطع جسمه الخزيل - ضعا - الضعيف - فعلا - أن  
يتحمل هذه التجارب العينة وهذه الانفلاتات - كما يقول - من  
قيود الجسم والناس والأرض واحتياحات الحياة .. ولذلك مات في  
الخسيس من عمره .. وقبل أن يموت بلحظات تنفت بسأل تلامذته إن  
كان قد نسي أن يوصي بشيء .. أو كان قد نسي أحدا !

وَمَا يَشَأْ أَحَدُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ . وَلَكِنَّهُ بِسُرْعَةٍ نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِمْ فَقَالَ :  
آه .. نَسِيتُ .. وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحْتَ لَا شَيْءَ !  
لَقَدْ نَسِيتُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ مِنْذُ ٢٧ عَامًا !  
وَخَرَجْتَ زَوْجَتَهُ مِنْ بَيْنِ الصَّفُوفِ . لَيْسَ لِي عَلَى صَدْرِهَا وَتَعِيشِ  
مِنْ بَعْدِهِ مَقْدَسَةٌ عِذْرَاءَ ٣٧ عَامًا !

## الناس لا يموتون وإنما ينتقلون إلى صورة أخرى!

كان المسيح عليه السلام يشفي المرضى بإذنه . ولكن المسيح لم يذكر لأحد من بعده كيف كان يفعل ذلك . وقد حاول حواربيوه والقديسون أن يفعلوا مثله ، بعضهم نجح ، ولكن كيف ؟ حاولت الإجابة عن هذا السؤال سيدة مريضة . إذا وقفت وقعت . وإذا لم تنهت . وإذا جئت انحنت . ولذلك لم تذهب إلى مدرسة وإنما قرأت في فراشها . مثل كثير من الممتازين في الفن والأدب . وكانت معوماتها قليلة . ولكنها عميقة . وقد عاونها واحد من إخوتها ستة وبعد ذلك اعتمدت على نفسها في الفهم وإقناع الآخرين . وكان لا بد من الآخرين . لأنها صاحبة دعوة أو رسالة وكان لا بد من إقناعهم ليصبحوا في خمسة وأربعين عاماً مليون تابع وعشرة آلاف كنيسة . وصحيفة هي من أكثر الصحف احتراماً في أمريكا وفي العالم .

هذه السيدة اسمها ماري إيدي ( ١٨٢١ - ١٩١٠ ) عاشت ٨٩ عاماً تزوجت لأول مرة ومات زوجها قبل أن يرى نبتة الأول . وبعد ذلك لم تر الأم بنها هذا فقد شغلها مرضها عن تربيته . فعاش الطفل بعيداً . حتى لم يعد يعرفها إذا بقي مرة كل شهر . ثم مرة كل سنة .

وتزوجت للمرة الثانية طيب أسد . ونصبت عنه ثلاث سنوات  
للقراءة والبحث . وأخيراً تزوجت واحداً من أتباعها .

وكانت هذه السيدة ماري إيدي تشكو من وجع في عمودها  
فقترى . وقبل هذا العلاج . وعرضها زوجها الثاني على منوم معاطيسي  
اسمه كويمبي ( ١٨٠٢ - ١٨٦٦ ) من مواليد لبنان . وعالجها هذا  
الرجل . وبعد موته عودتها لآلام من جديد . فقررت أن تجد سر شفاء  
مسيح المسيح . ووجدت سر الشفاء في الكتاب المقدس وفي إنجيل  
متى خاصة خاصة . واستطاعت أن تشفي نفسها بالقراءة والتأمل .  
والعلاج لكل الأمراض الحسية هو علاج روحي . والعلاج الروحي  
سنة العقل . والإيمان بقدرة على أن يستفي من كل داء . والعقل يقوم  
بتصحيح الأفكار الخاطئة . أو الإحساسات العطف المترسبة فيه . وإذا  
أوجد في تصحيح الفكر وترتيبه . اختفى المرض . لأن المرض مثل  
الخطيئة . هو مخالفة للقوانين المقدسة .

والسيدة ماري إيدي لا ترى أن هناك خطيئة موروثة يجب أن تكفر  
عنها مدى الحياة . وهي خطيئة آدم عليه السلام . التي استقلت إليها في  
الدم وبقيت في التفسير . وعليها الخلاص منها بالصلاة والعمل الصالح  
إلى آخر ما تقوله الديانة المسيحية .

ولكن السيدة ماري هذا آراء مختلفة في كل تعاليم الديانة المسيحية .  
وهي ترى أنه العقل يمكن فهم كل شيء . وبالعزم أيضاً . ولذلك  
أطلقت على رسالتها اسم العلم المسيحي . بكسر العين . وأنه لا دين  
بلا عقل . ولا عقل بلا أسس علمية .

وأول ما أعلنته السيدة ماري في كتبها العلم والصحة . مفتاح الكتب  
مقدسة الذي صدر سنة ١٨٧٩ أن الكتب المقدسة يجب أن يقرأها

الإنسان بعقله . وأن يقبل منها ما هو معقول ، وأن يرفض ما ليس  
عسياً . مثلاً : أن مادة لا وجود لها . وأن كل الذي يراه هو مظهر  
للأشياء . والإنسان مثلاً له وجهان : عقلي ومادي أو معنوي ومحسوس  
وأنه من الداخل معنويون . وأنه من الخارج محسوسون . وأن هذين  
الوجهين لشيء واحد هو الإنسان .

واستحقت من كثير من الرجال أن يسخروا منها وأن يقولوا إنها  
مجنونة ولم تكن مجنونة وإنما كانت شديدة الحساسية للدرجة  
هستيرية .

ولكن جاء علماء عظماء من بعده . وفيهم سيد مثلاً . وعلم  
لكثير حبيس حينئذ قد علم : أن الكون كله بعد سيد مادي . وإنما  
هو أقرب ما يكون إلى الفكر . وأنه فكره عن شيء . أو أنه فكرته  
عن الذي حولنا . وليس مادة !

وجاء علم عظيم آخر اسمه ادخول يقول : إن الكون شيء وهمي .  
فالمادة وهم . ولا علاقة لهذا الكون كله بفكرتنا عنه .  
وعلم ثالث عظيم اسمه ريزر يقول : المادة تنلاشي أو تلاشت .  
والذي أمامنا وحولنا ليس إلا حالة عقلية !

واستطاعت السيدة ماري أن تشفي مئات من مصابين بأمراض  
مستعصية . وذلك بالقراءة والتركيز . والإيمان المطلق بأن العلاج ممكن .  
وأن سبيل العلاج هو الإيمان . فقد فعل المسيح ذلك .

والذلك ترى السيدة ماري إيدي أنها اكتشفت هذا العلاج وأنها  
مؤسسة ورعية العلم المسيحي . والعلاج الروحي . وقد كتبت حولها  
وسار وراءها مئات الآلاف . واستطاعت في جسامها أن تحفظ  
مبادئهم . وتبذل أوجاعهم بقراءة الكتاب المقدس . وتقول : إنني



- حقيقة - لم أكتشف الحقيقة .. كما أنني لم أبحث عنها . أأوجدتها فقط . فهي هناك دائما .

وتكثرت التساؤلات والاستنكرات : مثل هل هي مسيحية ؟ تقول : إنها كذلك . ولكن إذا كانت تنكر المدة فهل تؤمن بالمسيح الذي هو إله وإنسان معا ؟

وهي تقول : مائة في المائة مسيحية ولكن المسيحيين . كل المسيحيين يرون أنها كافرة لأنها أنكرت المسيح الإنسان .

وتقول هي : إن الله الذي يؤمن به هو ما جاء تعريفه في قاموس وبستر . ولقاموس يقول : لله وجود واحد مطلق . خلق نفسه بنفسه أبدياً .

ولكن هذا يجعلها تخرج على المسيحية تماماً .  
وسألوها إن كانت ترى أن هناك موتاً ؟

وجوابها : لا يوجد موت . إنما يوجد انتقال لحي إلى حياة أخرى .. وإلى شكل آخر لا يراه الذين بكوا الميت ثم دفنوه بعد ذلك .

وسألوها : إن كانت تؤمن بالجنة والنار ؟

وكان جوابها : نعم .

ولكن تفسيرها يختلف عن المؤلف . فهي ترى أن الجنة هي حالة عقلية . والنار كذلك . فالذي يصنع الخير يجد الراحة النفسية وهذه هي الجنة والذي يفعل الشر ويندم عليه أو حتى لم يندم عليه . وإنما يخوف عاقبته ويخاف من الناس ومن القديسين . فهذه هي النار . حالة عقلية أيضاً .

والمرض كذلك حالة عقلية ..

ولم يمتص وقت طويل حتى جاء لأضواء وعسا . أنفس يؤكدون أن

الأصل في العلاج هو هذه الوحدة النفسية أو العقلية . فلا يوجد جسم  
بشري مثل الحجر أو الخشب . علاجه الأطباء كما يعالج النجار  
نوحاً خشباً أو حجر أو قطعة من نطير . هكذا النفس . هناك العقل .  
والعلاج يجب أن يبدأ من النفس إلى مظهر الأخرى للجسم الإنساني  
والوظائف الجسمية للجسم .

وفي ذلك الوقت أعلنت السيدة ماري إيدي : أنه قد جاء وقت  
المتكبرين . وذهب عصر المذبيين الذين يفتلون في لحم الإنسان  
وعصمه . والعلاج هو أن تفكر في الله وفي حكمته . وأنت تفكر  
سوف تهتدي إلى علاج النفس أو علاج الروح أو علاج أعقد المتاعب  
الإسائية . فقد حاولت قبلك ألوف المرات . ووفقني الله إليه .  
وفرحت السيدة ماري إيدي بأبها قد شفيت تماماً . فراححت تطوف  
لملاد الأمركية وتنتقي محاضرات طوبية واقنة على رجليها . وفي  
أحدى الندوات وقف هذا رجل ضخم الجثة . وطلبت إليه أن يجلس .  
وجلس . وسأله : هل في بيتك أن تعني أنك المسيح الجديد ؟ هل  
أنت تظهر أنني المسيح ؟ هل أتباعك سيقدسونك ؟ هل أنت  
تظن من كل الناس أن يقرأوا الكتب المقدسة بعد كتابك ؟  
وأجبت السيدة ماري : أن أطلب إلى الناس أن يقرأوا كتبتي .  
ولكني لست مسيحا ولا مقدسة . ولا أطلب من أحد ذلك . إنني  
وجدت الحقيقة وأريد أن أضعها للناس . وعليكم أن تجدوها أنتم  
أيضا .

وسألها الرجل : ولكني سمعتك تقولين إن العلم هو الله .

— نعم هو الله !

— فما تعريفك للجهل !

- هو مرض . ولا يزال الإنسان يتعلم ويعلم حتى يشفى من أكلة  
الأمراض قسوة على النفس .

- والجسم ؟

- لا جسم .. نفس فقط !

- ولو أطلق أحد عليك الرصاص الآن فأين تذهبين ؟

- وأين تذهب ورقة أحرقها ؟ وأين يذهب ضوء مصباح أطفأته ؟

وأين تذهب الشمس عند الغروب .. نحن لا نموت .. وإنما نحن

عرب نشرق على غروب حديد .. أو نشرق علينا عوالم جديدة ..

وإنا لن نموت .. وإنما فقط أذهب إلى حيث تذهب نار الرصاصة .

إلى صورة أخرى لا يراها المحرم المدسوس علينا من طوائف دينية أخرى

تريد أن تشكك الناس فيما أقول !

ونفض الرجل وخرج ولم يعد !

وبعد ذلك مسيرة أعلنت عن انقضاء عن الكنيسة . وأقامت في

ولأتباعها كنائس خاصة حتى تحتفظ بصلوات دينها الجديد . وكانت

أول كنيسة أقمتها اسمها كنيسة الأم . وبعد ذلك أشأت كنائس

أخرى اسمها يسوع المسيح لعالم . - كسر الزلازل - وألحقت بالكنائس

مدارس وفصولاً للقراءة والدرس والتأمل . وجعلت لأتباعها ترانيم

دينية وصلوات خاصة . وبذلك قطعت آخر صلة تربطها بكل

كنائس .

وقبل وفاتها سموت قبيلة أشأت دوراً للتميز . وأصدرت محلات

أسبوعية . ولكن أعظم ما أشأت صحيفة يومية اسمها كريستان

ساينس مونيتور « أي رقيب أو مراقب العلم المسيحي » وهي من

أكثر الصحف الأمريكية احتراماً .

وبعد وفاتها اختلف العلماء في أمرها . أناس يقولون : مجتهدة .  
وقد تأثرت بالمنوم المغناطيسي كويمبي ! .  
وأنكرت هي قبل موتها أن تكون قد تأثرت بهذا الرجل لأن هذا  
أسلوبين مختلفين في فهم وعلاج المتاعب الإنسانية .  
وقالوا : كفره ، في ذلك شأن . لأن دينها ليس مسيحية ولا  
مذهبها البروتستانتية الذي تنتسب إليه .  
وقالوا : ساحرة .

ولكنها لم تكن كذلك . فقد أعلنت بوضوح في كتبها أنها عثرت  
على كنوز لا تقدر بثمن في الكتب المقدسة . واهتدت إلى أسرار  
الكسبات والأرقام . وفي استطاعة كل إنسان أن يكون مثلها قدرة  
وإيمان . لو أراد وأصر على هذه الإرادة بصفاء نفس ونقاء عقل . .  
وربما كنت السبذة ماري إيدي هي أول من استخدم هذا التعبير :  
انعدام الوزن .

وهي اختارت هذا التعبير لتصف الإنسان الذي أصبح خاليا من  
الخطيئة . . أو الإنسان الذي تاب فأصبح خيرا . بعد أن كان شريرا . .  
أو لتصف حالة الموت . . أو لنزع الأخير . . فهي تقول : شهدت أن  
يَمُوتُونَ . . وحدثت الحتافهم تشديد . . ثم وحدثت الراحة ونصف على  
لوحه بعد ذلك ماذا ؟ لأن الإنسان يعاني ما تعيد الأم عند الولادة  
ولأم تتعذب لأن كل سوف يخرج منها . . وهي في حاحة إلى قوة  
هائلة لتنفضه إلى الخارج . فإذا فعلت استراحت . وبعد ذلك شعرت  
بالسعادة التي توصف بأنها ألم ولذة . أقصى درجات اللذة والألم معا .  
وكذلك الميت : فهو يبدد كائن آخر . وهذه الولادة عشرة . . وانفرد  
من لحائتي أن المولود يشعل مكانا في حضن الأم . . أما في حالة الموت .

ههناك كائن يشعل كل خلية من خلايا الجسم .. فهو يولد من كل خلية ويخرج منها .. منتهى العذاب .. وبعده الراحة .. فقد انطلقت الروح - أو الموجود الحديد - من سجن الإنسان .. وأصبح بلا وزن .. أو في حالة انعدام الوزن !

لعلها أول من استخدم هذا التعبير استعداداً فكرياً . حتى أصبح هذا التعبير من أمهات ولعلم المسيحي . ولذلك استحضرت السيدة ماري إليدي أن توصف بأنها معجزة عسية أو صاحبة أعشق وأروع رؤية دينية في عصر العلم . ولعلم عندها هو الإيمان . لأن العلم هو معرفة القوانين المقدسة . أي الله الذي هو واحد وخير وصادق ورحمة ونعمة .

وقبل وفاتها - أو انتقالها - ساعات . سئلت : ما هو بالضبط الذي أضفته إلى الديانة المسيحية . أو اختلفت بين عن الديانة المسيحية ؟ وغابت السيدة ماري وعادت ووجهها أكثر إشراقاً . إشراقته الأخيرة .. وقالت : المسيحية جعلت الله على شكل الإنسان .. فهم جعلوا الإنسان يمشي ويأكل ويشرب ثم يعذبه اليهود ويصلبونه .. أما أن فقدت جعلت الإنسان على شكل الله : معنى روحياً !

## تمثال إذا وَضَعُوهُ فِي الظَّالِمِ أَضَاءَ

لما سئل جورج فوكس (١٦٢١ - ١٦٩١) :

- وهل أنت مسيحي ؟

- مختلف .

- مسيحي مختلف أو مختلف فقط ؟

- مختلف جداً .

- كيف ؟ هل تصلي ؟

- أصلي صامتاً .

- بلا كلام .

- نعم .

- والناس أيضاً ؟

- يجب أن يفعلوا ذلك .

- لا داعي للمعابد ؟

- لا داعي .

- وكيف يتعلم الناس ؟

- إنهم لا تعلمون .. إنهم يتذكرون ما في داخلهم في صمت .

ولذلك يجب ألا يتعلم أحد .. ولا يعلم أحد أحدا .

- والكتب المقدسة ؟

- الناس يقرأونها في صمت .

- آ .. مهت . إذن الكتب المقدسة ما تزال مقدسة عندك . ولكن  
لخلاف بيت وبين الديانات الأخرى هو أنك وتبعتك يتسونه في  
صمت .. ويتسونه غيبتهم في صمت .. ومن هذا الصمت كنه يخرج  
النور .. وهل تكون الصلاة جامعة ؟ أي هل تصلون معاً ؟

- مع .. وليس معاً .. نحن نصلي في وقت واحد .. ولكن أحداً لا  
يصلي وراء أحد .. ولا يتلقى الأمر من أحد .  
- لا أفهم ..

- من أجل هذا كان لا بد أن أخطب في الناس في كل مكان ..  
في الشارع وفي البيت وفي داخل الكنيسة أيضاً .  
- وكيف تدخل الكنيسة ؟

- إنني أدخلها لأنهم مكان عام .. وعلى كل واحد منا أن يقطع  
لتأسيس ويبعث الناس إليه .. ومن هنا فقط ينبع الإيمان بنا والكثير  
بعين ..  
- لم أفهم ..

- اعرف أنك لم تفهم .. ولن تفهم إلا بعد وقت طويل ..  
- الوقت الطويل يجب أن تقضيه في السجن . لأنك كافر بالمسيحية  
وبالأديان الأخرى .

ودخل جورج فوكس السجن أكثر من مرة . بل إنه انتقل من  
سجون بريطانيا التي ولد فيها . إلى سجون أوروبا وأمريكا .. ولكن  
تعاليم جورج فوكس يمكن أن تجددها في الرسالة التي بعث بها إلى  
حاكم جزر بارابادوس وإلى هذه المناقشة التي دارت بينه وبين قاضي



حدى المحاكم البريطانية والتي انتهت عدة - وتنتهي دائماً - بسحر جورج فوكس . وقد أطلق فوكس على نفسه وعلى التابعين له اسم جماعة الأصدقاء ، أو «إخوان الصدق» أو «إخوان الصفاء» أو «أطفال النور» .

ولكن هذه الجمعية اكتسبت اسم آخر هو «كويكرز» وقد أطلق هذا الاسم القاضي بيت . وهو يسخر من جورج فوكس . وكلمة كويكرز معناها المرتجفون أي الذين يرتجفون أمام العدالة .. أو المرتجفون أي الكذابين المضلون . (وفي القرآن الكريم : «المرتجفون في المدينة أي الكذابين . وقرآن أيضا يقول : «فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جائعين» (والرجفة أي الاهتزاز والخوف والرعب) وبعد أن حمل «أبناء النور» هذه التسمية استطاع فوكس أن يحورها فيقول إن العدالة ترتجف أمام كلمة الله . وأنهم إذا اجتمعوا وفي مكان واحد كان النور في داخهم يصيبهم بالرجفة . وأن المرتجفين يرتجفون أمامهم .. ولم تعد هذه الكلمة مخجلة لأحد .

وجورج فوكس هذا ابن لعامل صغير يشتغل في النسيج . وجورج فوكس قد تعلم في أحد محلات الأحذية . ومن العجيب أنه وهو طفل صغير كان يقول : كل شيء جزمة لشيء آخر . أي أن كل شيء يدخل في شيء ويعتمد عليه وكل معنى له قلب . ولا بد من نوالب والناس سعدان : أقدام وأحذية . أي معان وقوالب لها . وكان الناس يضحكون من هذه التعبيرات الصحيحة ، غير المهذبة أو غير الشاعرية .

وقد أحس جورج فوكس أنه مختلف عن الناس . وأن الذي يتدبر

به في أعماقه لا يدري به أحد . ولكن الأسياء والرسل كانوا يشعرون  
مثله . أو يتعذب مثهم . بنفس الطريقة . ولكن ليس بنفس الدرجة .  
فما الذي يحس به الأسياء والرسل ؟ إنهم عن طريق التأمل الداخلي  
يروون النور في أعماقهم « فالنور الذي في أعماق أي إنسان أقوى من  
نور الشمس . أعشق من نور الشمس . أهدأ أنعم أرق . إن هذا النور  
هو الله . والله لكل الناس . وكل إنسان يستطيع أن يهتدي به . وأن  
يشعر بقوته القاهرة » . ولكن كيف ؟

يقول جورج فوكس في « يومياته » التي نشرت بعد وفاته : إن النبي  
أو الرسول يسوي المذات من الناس الأصفياء . نعم . ولكن إذا جلس  
مائة أو ألف من الناس وأطالوا النظر في نفوسهم في صمت . في تركيز  
تام فإن نور الله يتحلى هم جميعا كأنهم قلب واحد . وكأنهم جسد  
واحد .. وكأنهم نبي أو رسول .

ولذلك فإن جماعة « المرتجفين » هؤلاء ليست هم طقوس ولا  
صوات ولا تراويل ولا مزامير ولا بخور ولا عطور ولا طبول ولا  
موسيقى . بل إن الموسيقى حرام والمسرح والغناء والرقص . يكفي أن  
يخسوا معا في صمت . ويقوم « الكتاب » - أي الراهب الأكبر أو  
النس الأعظم - بترتيب جنوسهم وجمعهم في مكان واحد . ثم عليه  
أن يتركهم وحدهم . يصلون في صمت . كل واحد يصلي في هدوء  
وصمت . والصلوة ليست حركات . وإنما الصمت صلاة . والتركيز  
عادة . والنور ظهيرة مطلقة . ولذلك سموا بالأطهار أيضا . أو  
بالطاهرين الأصفياء ومسحوخ هم أن يقرأوا الكتاب المقدس . والكتاب  
المقدس هو « كلمة » الله . وليس « الكلمة » الوحيدة لله .

وفي أوائل هذا القرن قلت الزعيمة الدينية مرجريت فل : نحن

نقرأ أن هذا ما قاله المسيح . وهذا ما قاله الرسول أو القديس . ولكننا لا نسأل أنفسنا وما الذي قلناه نحن ؟

ثم تجيب هي نفسها بقوله : إنا لصوص النصوص . فنحن نسرق المعاني من الكلمات . ونحفظ الكلمات ونعيد لها إنا لصوص . وهنا لصوص آخرون . وهم الذين يسبون الكلمات عضمتها ويعطونها للكنيسة أو لرجال الكنيسة والله لم يعط عضمته لأحد . والله لم يجعل لنا نائباً عن الأرض . وإنما أودع كل شيء كلماته .

ويرى جورج فوكس : أن الروح المعطى .. أن روح الله إنما نحن قادرون على استحضارها إذا كنا معاً وإذا كنا في صمت .. في هذا نصمت الخليل تخرج منا وتطل علينا روح الله ونورده لناهر .

وبذلك اختلف فوكس عن كل الكنائس الأخرى . واصطدم به . وأعلنوا أنه كفر . واستعدوا عليه السلطات الدينية والديوية . فدخل لسجن ومن ورائه أتباعه بالآلاف . ومات منهم في السجون مئات دون أن تتراخي لهم عزيمة ، أو يخفت لإيمانهم نور ..

ويتساءل جورج فوكس ومن بعده مئات السنين مرحريت فل فتقول : ما هو المرض ؟ المرض هو أن ينطفئ النور في داخلك . فإذا أضلست النفس ضاع الطريق وأخفق أمامك .. ما هو المرض ؟ المرض هو أن يكون هناك تمزق داخلي يؤدي إلى اضطراب خارجي .. إلى شكوك إلى وسوسة .. إلى سبل وهذا النور هو الصدق . والكذب هو للظلام . والإيمان هو الشفافية المباشرة حتى لا تكون حواجز أو وسطاء بينك وبين الله .. أو أحد من الناس ..

وتقول مرحريت فل : لا تضعوا على لساني كلاماً لم أفهمه . لا تضعوا على لساني ظلاماً لست مصدره ..

وليس « جماعة الأصدقاء » نص مكتوب ولا كتاب مقدس .  
إلا الكتاب المقدس نفسه ..

وقد حاول بعض الذين تعذبوا كثيراً أن يجعلوا لقاءاتهم سرا  
فرفض فوكس ومن بعده كل زعماء المرتجفين بل رفضوا أن تكون  
هم كدّيس أو مدارس أول الأمر . ولكنهم الآن يتعدون ويساعدون  
الفقراء المرضى وجرحى الحروب الأهلية في أمريكا والحرب الأولى  
ونشأة والحروب الصغيرة في كل مكان . حتى ظن بعض الناس  
إنهم جمعية خيرية وليست جمعية دينية . أو ليست تشر بدين جديد .  
لا يتفق مع كل الأديان . وإنما يختلف معها منذ أول كلمة إلى مجرد  
رفع الإصبع . فمن طقوسهم رفع الإصبع عند السؤال والإجابة . ثم  
إنهم ينادون بالنسطة والتسوط ويكرهون الكثرة والمجاعة . فلو اُحد  
لا يقول للآخر : حضرتك أو سيدتك أو معانيك أو نيافتك أو  
قداسك وإنما يقولون : أنت ..

ويتسوطون في الملابس أيضا . ويكرهون الأبهة والنعمة والبهرجة .  
ويرون أن الله خلق الناس سواء . فلا فرق بين الأبيض والأسود .  
أو الغني والفقير . لذلك أضيق كل واحد منهم ما يمكنه من عبيد  
وأرقاء ..

ثم إنهم ينتشروا وسيطروا بعد ذلك على ولايات أمريكية كمة  
وحربتهم ولايات أخرى كثيرة وأفسحت لهم مكان تصدارة في  
السجون والمستشفيات العقلية .

وكانت جماعة المرتجفين يدعون أول الأمر إلى الهدوء والسكينة .  
من يتعادل الإنسان : داخه وحارجه . وألا يجعل جسمه غليظا كثيفا  
سحب عنه نور استق من أعماقه . وير الله وبعد ذلك تحوّلوا إلى

ندعوة إلى السلام التام . لا حروب لا حناقت . لا أحقاد لا كراهية .  
من اضطرتهم الحكومات إلى الاعتراف بالقانون الذي يحمي الناس  
من الناس . والذي يضع سياجا بين أطماع وأحقاد الناس . ولكنهم في  
نفس الوقت وقفوا ضد الحروب .

وكانت عندهم مشكلة : كيف يقسم الآن أمام القاضي أن يقول  
الحق ولا شيء إلا الحق ؟

إنهم يرفضون أن يقسموا على شيء لأن القسم معناه أن هناك  
حقيقتين وهم يؤمنون بأنه لا توجد إلا حقيقة واحدة .

ثم إن المسيح عليه السلام قال في إنجيل متى : لا تحفوا لمتة !  
( ٥ - ٣٤ ) .

وأدخلو السجون . ولم يخافوا هذه الآية المقدسة . ويبدو أنهم في  
لسوت الأخيرة قد تراجعوا عن الكثير تراجعوا عن تحريم الموسيقى  
والغناء والمسرح والسياسة والتلفزيون . وتراجعوا عن التشدد في تطبيق  
القصاص المقدس . فهم يتكلمون عندما يقرأون . وإن كانوا لا يؤمنون  
برجل واحد يسوهم ويسودهم . فهم جميعا : سواء وسادة . ولا فرق  
بين من يجلس في مواجهة الناس . وبين الناس .

وأكثر من ذلك أن كل طقوس المسيحية والأديان الأخرى يؤدونها  
في صمت : الركوع والسجود والتذلل والتعير والإنشاد . كل ذلك  
يتم بلا تنهين . ويقول فوكس : من كانت صفته في فقه فليس واحدا  
منه ولشئنا هناك في الأعناق تنرجان وتنطقان دون أن يراها أحد .  
وفي رواية كتبها أرنولد كيرواك عنوانها المرعفون لا يرتفعون . في  
بعض صفحاتها يقدم لنا تمثالا من الحجر الأسود قد عثر عليه في  
نيرون . التمثال ليست له معالم غير عادية . ولكنه تمثل دقيق المعام

ولم يهتد أحد إلى معنى هذا التمثال . فقد عرضه على رجل الأثر . ثم على رجل النحت . ثم على أحد تجار التحف . لا أحد يجد له صفات غير عادية . ولذلك كان رخيص الثمن . ولكن واحدا من « المرتجفين » لاحظ في أحد الأيام أن هذا التمثال إذا وضع في الظل أو في الظلام انطبق جفده . وفحاة يخرج منه شعاع من النور . وتكون النار في الناحية الأخرى من الدفلة التي يوضع إلى جوارها . ولاحظ أن التمثال إذا اقترب منه أحد انقطع نور . وإذا تكلم معه أو حوله أحد . فإن النور ينقطع ولم يهتد أحد إلى معنى هذا النور .. ولكن في نهاية المسرحية نجد أن البطل يجلس في الظلام إلى جوار التمثال مقنعا صسته وهدوءه الشامل وفي هذه اللحظة لصامته الطويلة يخرج النور من رأس بطل الرواية . والمعنى هو : أن الصمت والظلام هما منبع نور في السماء وفي النفس .. وكما طال صمتك . صفا روحك . وضاءت نفسك وكنت أقرب إلى الله . أو إلى الحقيقة التي هي الله والتي ليست حكرا على أحد من عباد الله !

## بُقَعَ سَوْدَاءٌ فِي جِلْدِ النَّمُورِ ..

انظر إلى السماء وقل أي شيء قل إنها قطع من حجارة المنتهى أو  
المرودة . قل إنها بعيدة ولا فائدة منها لأحد . قل إن الإنسان سوف  
يصل إليها يوما ما . وسوف يجد متعة في اختراع وسائل الوصول إليها .  
وإذا نزل عليها فسوف يحدها كالأرض . وسوف يواسي الإنسان نفسه  
بأنه يبحث عن أصل المادة وعمر الكون وسبب الأمراض ومعنى  
الحياة .. وقل إن الإنسان محكوم عليه أن يبدد أمواله في أشياء أخرى  
لا تفيده . قل إن مئات الملايين من سكان الأرض لا يجدون الطعام .  
بيما طعام رائد الفضاء الواحد يتكلف مئات الألوف من الدولارات ..  
أو أن تراب جزمته قد كلف أمريكا وحدها ألف مليون دولار ..  
أغلق النافذة في وجه السماء . أطق عينيك ولا تقل شيئا . وانشغل  
بأي شيء آخر . العب في عينك . إنك دون أن تدري قد وضعت  
إصبعك على إحدى المعجزات . هذه العين . اسأل أي طبيب رمد عن  
العين . عن إنسان العين . ولا تنم إذا تحول كلامه إلى شعر . إنه حائر  
في خيوط العين في أجسامها الزجاجية .. كيف ترى كيف لا ترى ؟  
كيف تتخيل ؟ كيف تني قصورا وجذات لا وجود لها .. ما هي  
الألوان .. ما هذا الجسد في العين .. ما هذا التعبير في العين .. ما الذي



يحدث عنده ترى ما يسرك ؟ وما معنى السرور ؟ ما الذي يحدث  
عنده ترى ما غضبك ؟ وما هو الغضب ؟ وإذا سمعت طرقا على الباب  
فغضت من التنكير في معنى العين ؟ فما معنى ألمك سمعت ؟ كيف  
سمعت ؟ سأل طبيب للأذن عن هذا العضو الصغير .. وإذا راح يتعنى  
معجزات تراكيه .. وتحول من طبيب إلى مطرب ومن مطرب إلى  
درويش فلا تسه . فإن الذي يعرفه أضعف الذي تعرفه . والذي يريد  
أن ينهسه في تكوين الأدب والعين .. والخية الحية .. والحياة ..  
ومعجزة المعجزات : ذلك الحيوان المنوي الضئيل الذي ينقل صناد  
الإنسان من ألاف السنين وينقل صناد الأب والأم .. أين ؟ وكيف ؟  
ومددا ؟ إلى الحنين في بطن أمه ؟ وما معنى بطن أمه ؟ وكيف يتكون  
فيه ؟ ومن الذي يتولى تكوين الحنين قطعة قطعة ؟ وكيف يتولى  
ترتيبها ؟ من الذي يتولى بدء هذا الكائن الجديد ؟ من الذي يكمله ؟  
من الذي يعلن أنه كامل وأنه يجب أن يولد ؟ وما معنى أن يولد ؟ وما  
معنى أن تحس به أمه .. وماذا ؟ وما هي الأمومة وما هي الأبوة ؟

وإذا شعنتك نمة صغيرة عن هذه القضايا الكبرى . فلا تهم أحدا .  
والنمة ليست صغيرة . ولا رحمة صغيرة . ولا عينها صغيرة . إنها هي  
أيضا معجزة في الحياة . وإذا شعنتك هذا كنه عن النظر إلى الشمس  
وإلى القمر وإلى السماء وإلى التنت .. فإن الذي يشعنت أصعب  
كثير جدا من هذا الذي فوقك وحولك .. أو هكذا نقول لأنفسنا  
لأننا لا نعرف من هذا الكون حولنا إلا القليل .. ولا نعرف من الكون  
الذي هو نحن إلا القليل . وليس تواضع من أحد أن يقول ذلك  
وإنما هي الحقيقة .

والذي تراه ليوم حولك قد رآته الإنسانية من مئات الألوف من

نسئين .. وقال الناس . أو لم يقولوا .. أو تنبه بعض الموهوبين منهم  
إلى شيء من ذلك . وحاولوا أن يفتحوا عيون الناس ، وأذاهم وقلوبهم  
وعقولهم فتحوها بالمنطق . وسدت هذه الفتحات بعدهم محضات  
لتجنيء عقول موهوبة وقلوب مؤمنة وتعود فتح العقول من جديد  
وكل جيل يفتح للعقل قبلا . ويدفع الإنسان إلى الأمام سير أو قدم  
وتاريخ الإنسانية طويل . وكندح الإنسان من أجل أن يعرف ما الله  
بعد ..

والقصة هي هي . والمشكلة واحدة ؟ والمعضلة لم تتغير ! ما هذا  
الذي ترى ؟ من الذي صنع هذا كله وكيف ومتى ومن ؟ وما نحن  
وكيف نكون أفضل ؟ وكيف يكون سلام بين تخيرين وكيف نقضي على  
الأشرار وما هذه الحياة وما بعدها ؟ ما الذي كان قبل ؟ ما الذي سيكون  
بعده ؟ من الذي يحجب عنا . وعن هذه الأسئلة ؟ إننا لا نستطيع إلا  
أن نفكر إلا أن نعقل .. أي إننا نرى هذا بذلك ثم نرى لكل في  
إصدار واحد .. لكي تكون عندها فكرة عن شيء . أو أفكار عن  
أشياء .. أو نظرية لكل شيء .. أو مذهب لما كان ويكون وسوف  
يكون . وكل شيء بالعقل .

والذي عند الأحجار من عشرة آلاف سنة لم يكن محضاً . فهذا  
أقصى ما يقدر عليه عقله .. والذين عندوا الخيل والأهـر والذهب  
بعد ذلك بألوف السنين . لم يكونوا محضين . فإن عقولهم لا تقوى  
على غير ذلك ..

إن عقولهم تحاول أن تعرف .. وهذا أقصى ما وصلت إليه . إن  
لعمركم كبير بيتن قد اضطحب كنهه لصغير إلى معبده عندما سمع  
صوت غريب . ويدعو أن قصة فنزت فكسرت إحدى لأواني لرجالية .

و ترجع العلم الكبير . ولكن كذب الصق وراء القطة . الكذب وسيده  
يعيشان في وقت واحد . ولكن الذي يشعهما مختلف . وقد عدت  
لإنسانية ألوف السنين لا تتم إلا متطردة لحيوانات الأخرى المخيفة ..  
وإلا بصيد الحيوانات . وإلا بالاختفاء من الوحوش الضارية في  
الكهوف .. وهذه الوحوش : الرياح والترعد والبرق والمرض والموت  
والطوفان والجفاف .

ولا أحد يوم كذب بيوتن عندما طرد قطة . بل إنه يكون حيوانا  
غريبا إذا لم يفعل ذلك .. وقد وقعت الكلاب عند هذه المرحلة .  
وتم تنظور إلى كائنات أكثر عقلا وحكمة .. ولكن الإنسان تطور في  
فهمه لكل ما حوله .

وكل الذين نظروا إلى السماء من ألوف السنين قلوا شيئا واحدا :  
إنها أعظم وأروع .. إنها جميلة جليلة .. ولكن ..

ولا بد من هذه الكلمة ولا بد من كلمات أخرى كثيرة بعدها :  
ولكن ما الذي أقامها هناك ؟ ومتى ؟ وإلى متى ؟ وكيف ؟ وماذا ؟ ثم إلى  
متى نحن هنا ؟ ومنذ متى ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟

وماذا بعد هذا كله ؟ وماذا قبل هذا كله ؟ وهل نحن وحدنا في هذا  
الكون ؟ وهل المكون كله من أوله لآخره قد ظهر لكي يراه أو لا يراه  
لكي نتذكره أو ننساه ؟

العلم الكبير والفضل الصغير يقولان شيئا واحدا : الله خلق كل  
شيء .

والعلم عنده ألف دليل . والفضل ليس عنده دليل واحد . والإنسان  
لم يتجاوز الحقيقة . فله خلق كل شيء . وإلا من أين جاءت ؟  
وكيف جاءت ؟

الله خفيته . كيف ؟ لا تعرف .. ولا أحد يعرف . وعليك - إذا  
أردت وإذا استطعت - أن تعرف . وتاريخ الإنسانية منذ كانت إلى  
أن تنتهي - ولا بد أن تنتهي - محاولة مستمرة لمعرفة أكثر وأعمق .  
عندما رأى يوليوس قيصر أن أحد راحته قد قتل أمامه . جاءه ضل  
من أقاربه وقال : فلان قتل ! . وقال يوليوس قيصر : فلان قتل !

هذه حقيقة . ولكن أسبب القتل يعرفها يوليوس قيصر فقط .  
أما الضلل فلا يعرف . ثم إن هذه الجريمة هي الفعل كامل . أي أن  
فلان أمسك سيفه وقتل فلان . انتهى هذا الفعل من أوله لآخره ..  
ولكن حقق هذا الكون ومعرفة ليس فعلا كاملا . وإنما فعل مستمر .  
نرى أوله .. أو نرى لحظات منه - تحولات منه - ولا نعرف له  
نهاية .. بل ولا نعرف له بداية .

وما نراه واحد في كل العصور .. ولكن شكته ولونه وحجمه  
ومعده يختلف من ضلل إلى رجل . ومن عصر إلى عصر . ومن شعب  
إلى شعب . ومن طبيب إلى مهندس إلى فلاح إلى شيخ إلى قسيس إلى  
كافر إلى مؤمن .

وفي كل عصر ظهر أسس ملهسون يرون أوضح ويسمعون أعمق ..  
أسس بشر . ولكن لهم قدرات حارقة على الفهم والإفهام . وهداية  
الناس إلى خير الناس . وكل واحد منهم يدفع قومه إلى الأمام خطوة ..  
وكل الجهد الإنسانية هي محاولات مستمرة لكي يرى الإنسان  
أوضح . وبينهم أكثر . ويقترب من المعنى البعيد جدا . واهداف  
لبعيد جدا . والله لتقرب جدا .. لأن الله في كل شيء وكل شيء ..  
حكيمته في كل ما ينس في أجسامه وفي كل ما حول .. والذي

سحت من الله . لا يذهب بعيدا . وإذا ذهب بعيدا فلكي يعود أصنى  
عقلا ونفسا .

ومحاولات الموهوبين والمرسلين والأنبياء كانت كثيرة شاقة .  
تعدى من أحبهم . ولكنهم صبروا . وسجل لنا التاريخ صراعاتهم من  
أجل أن يمس الناس . لكون . الله . من أجل أن يكون الناس أكثر  
سماحة وزهداً وسلاماً مع النفس ومع الغير .

وقد دار رأسي إلى كل اتجاه في القديم والجديد .. في الشرق  
والغرب . ومضت سيرة لا أجدها سيرة فوق كتفي .. وكنت كالذي  
يجلس تحت بيت بلا سقف . تحت شمس بلا ظل وبين الحين والحين  
أمسك سيدة أتري به . وأتورى منه أيضا . فإنه لا يمنعني ولا يريحني .  
ولا يعطيني ما أحتاجه عندما أكون وحدي . فقط عندما يكون الإنسان  
وحده ، يكون مع كل معجزات الله .. انظر إلى إصبعك .. إلى  
جلدك . إلى ما تحت حذائك . كلها مفرقات محدودة في الحكمة  
الإلهية . هذا الذي جعلت تقول : آه .. لم تنظر إلى أعلى .. ليس  
إلى السقف ولا إلى السماء . ولا إلى النجوم ولا إلى الشمس والقمر ..  
إلى ما وراء ذلك !

وإذا جاء المرض وإذا جاء الموت .. وإذا وجدت أناساً عن طيب  
خاطر يعطون .. وأناساً عن سماحة نفس يزهدون .. وإذا وجدت من  
صنع الخير بلا مقابل . وإذا وجدت الصنفاء على وجه الميت . وإذا  
دفعت مالا ولم تجد الراحة .. وإذا قتلت غيرك ولم تجد الأمن .. ومن  
هذا كله تجد قوه في داحض تدفعك إلى أعلى ، كما يدفع الماء من  
نافورة .. لتقول : آه .. أو الله .. أو يا الله !  
وكنت كلما تقلبت أكثر ، وقلبت أكثر ازداد أرقى وقلقي ..

وأيقنت أنه لا راحة لي بعد ذلك . وأنتي اخترت العذاب . عندما  
قررت الخلاص منه . وأنتي استريت أهول عندما قررت الاعتزال  
بما قرأت وفكرت وكتبت .. ولا أقول . ولا أحد يقول . إنه تصنع  
كل الكتب . ولا عثر كل المذهب . ولا أقدم تحت كل القباب .  
ولكني أمصبت من عصري المحدود . سويات طويلة . أضعتها .. أو  
أضاعتني ، بددتها ، بددتني .. مسحتها ومسحتني . وخرجت كما  
دخلت أكثر تعاد . وأعشق حيرة . وكأني هربت من ساح الكلاب  
إلى عرين الأسود ..

ولا ألوم أحدا . فقد حقني الله هكذا . وأنا ضحية لتكويبي .  
وأحاول أن أخلص من ندي يصعب الخلاص منه . ولا يزال الإنسان  
يحاول أن يخلص نفسه ، ويتخلص منها ، حتى يكون له تكوين  
آخر .. ربما أفضل . ربما أسوأ .. وهذا فقط الذي أحملي مسؤولاً  
عنه . ولا أقول أيضاً إنني غيرت جلدي ليت ذلك ممكن . ولكنني  
تغيرت . توجهت إلى حيث كان يجب أن أتجه .. واستندرت إلى حيث  
الطريق الصحيح . واهتديت . اهتديت إلى أن أقب من حديد في  
تلك المصنحات التي حققت فوفها . ولم أمتس عليها أو إلى جوارها .  
ورأيتها بعيني عصفور . ولم أرها بعيني دجاجة . ولا أقول إن العسر  
تسع لكل . لا أعرف . فلا عصري ولا ألف ألف عمر يتسع لأعرف  
. لا أعرف في هذه الحياة . ثم ذلك إذا كان الذي يشعني هو هذه  
الحياة وما قبلها وما بعدها .

والذي أعرفه قليل .. ولذلك فأنا سعيد به .. والذي أضيفه كل  
يوم هو أيضاً شيء قليل . وكأني بذلك أضيف نسمة هواء وقيلا من  
فضائل ولاء المحلل وورثته .. ونحت هذا المأوى الروحي أتمنى

أما حمدا في مزيد من راحة ليل .. وما راحة ليل إلا خاتمة الطريق  
الذي يبدأ بالله وبكتابه ورسوله ..

.. ولكن أين الـ من هذا الطريق ؟ إن الذي قطعته قليل .. ولكن  
لدي قطعته قبل ذلك كان طويلا شاقا .. في كل عصر وكل أرض  
وكل دين وكل مذهب .. وكل طريقة .. وكل نظرية .. ووجدت  
الكثير إلا الراحة .. وسمعت الندوي إلا وجداني .. وأرهقت يدي وعيني  
وقبي .. فأنا إحدى ضحايا .. وأنا المريض وأنا انداء .. وأنا القاتل  
والقتيل ..

لو أحد قل لي يوم أمسكت مذات الكتب في دينات النصين  
والهند أبحث لي عن قلب كبير : أترك هذه فعندك ما هو أعظم  
وأروع وأقرب ! ..

لو أحد قل لي : ما هذه الساعات تدق فيها الرحام للارد في المعابد  
والمغارات .. ما أبعداها عن نفسك .. ما أغربها عن جوهرك ..؟

لو أحد قل لي : ارفع عن رأسك هذه الأكداس من الورق بكل  
لغة .. فتح .. فديتك وثم اهواء .. وسائل نفسك : كيف شممت وأين  
ذهب الذي ملأ صدرك وما هذا الذي اسمه صدرك ؟

لو أحد قل لي : خلع هذه الملابس إنها ليست لك .. انزع هذه  
لكدسات إنها ليست منك .. احفض صوتك إنها ليست حنجرتك ..  
اكسر أنفك إنه ليس في وجهك ..

ولكن أحد لم يقل .. ولو قل ما رجعت عن الذي فعلت .. لكي  
أنجيه بقوة وإيمان وصدق إلى ما أنا فيه .. فما الذي أنا فيه ؟

إني جئت متأحرا إلى كل شيء .. إني أستريح إلى كتب أقرأها  
وأمنع نفسي من الندم على أنني تركتها سنوات واشعنت عنها بغيرها ..



ولكنني أحمي نفسي من بدمي . فإنا لا أريد أن يتحول إيماني إلى سجن  
أكتوي فيه .. وإنما إلى «مصحة روحية» إلى «محجر وجداني» ..  
وقد وهبني الله هذا الصبر على نفسي وما كان لها وما كان فيها ..  
ولست الطيب مريض هو أن .. ولكنني أستعين بعدد عظيم من أطباء  
النفس واجسد .. وأعطيهم كل ما أعطيته لفلاسفة الغرب وكهنة  
الشرق .. أعطيهم قبي وعثي .. وما شئتني إلا بالإيمان بالله وبكتبه  
ورسوله . ولا أضل هذه الراحة التي تتششى بيني وبين نفسي إلا من  
هذا الإيمان .

وإذا كنت في بعض الأحيان أهرب من الطيب .. وأنكاسل عن  
الذهاب إليه وأتجاهل مواعيد الدواء .. قبل وبعد وأثناء الأكل فما  
ذلك إلا أنني لا أستطيع - ولا أحد - أن يتخصص من جند قديم ..  
هو العمر كله !

إنني مثل هذا النمر الأرقط الذي تتحدث عنه الأسطورة الأفريقية .  
فهم يتساءلون لماذا كان النمر أرقط .. أو كانت له هذه البقع السوداء  
في جلده الذهبي ؟

ويقال إن النمر كانت له صديقة اسمها : النار .. كان يذهب إليها  
كل يوم .. ويدور حولها .. فإذا رآته النار تعالت وأضقت ألسنها  
بحبته كأنها تريد مصافحته .. وفي أحد الأيام قالت زوجة النمر :  
ألا ترى أنك هنت على هذه النار .. إنك تزورها كل يوم ولكنها  
لا تزورك ..

وذهب النمر يقول للنار : لقد زرتك كثيرا . فمن ذا لا تتحركين  
لزيارتي ؟

وقالت النار : أزورك . ولكن بشرط .

وقال النمر : أقبل هذا الشرط.

قلت النار : أن تفرش لطريق إلى الكهف الذي تعيش فيه بأوراق  
الشجر .

وقال النمر : أفعل ذلك .

قالت النار : بشرط .

قال : أقبل الشرط .

قالت النار : أن يكون ورق الشجر أصفر جافاً !

وفرش النمر الطريق إلى الكهف بورق شجر الجاف .. وانتظر  
في الكهف . وهبت الريح .. واضطقت النار تأكل الورق الجاف حتى  
وقفت على باب الكهف . وأدرك النمر أنه هناك حتى . فشر من داخل  
الكهف .. وعلمت النار بجمده الذهبي .. وليست هذه البقع السوداء  
في جمده إلا من آثار النار .. إلا من آثار التجربة .. التي هي محاولة  
وخطأ وعظة بعد ذلك ..

ولا أحد بلا بقع قديمة أو جديدة في جمده .. فكما حيوات

والعصمة لله ولرسوله !

## المحتويات

### صفحة

٥	..... كلمة أولى : لعل الإنسان يجد نفسه هناك
١٥	..... خيط حول كتفه حتى الموت
٢٤	..... هكذا قال ولم يقل زرادشت
٣٤	..... ظهره إلى حائط متجهاً إلى الشرق
٤٦	..... الانتصار على الحياة : دين
٥٥	..... كونفوشيوس متدين ليس له دين
٦٦	..... ثور أخضر في طريق طويل
٧٥	..... أن يكون هناك طريق إلى شيء
٨٤	..... وأين مكان لا يوجد به الله ؟ !
٩٣	..... طريقة غامضة لتوضيح كل شيء
١٠٣	..... عصفور لا تعرفه طيور الحديقة
١١١	..... لا سجائر لا خمر لا وطنية لا تحية لأي علم
١٢٠	..... أيها الأحياء اتركوا لي هذا الضوء الخافت
١٢٨	..... من قال إنك تعطف على الآخرين ؟
١٣٧	..... الناس لا يموتون وإنما ينتقلون إلى صورة أخرى
١٤٥	..... تمثال إذا وضعوه في الظلام أضاء
١٥٣	..... بقع سوداء في جلد النمر

جميع الكتب مطبوعة في مصر

على يد مؤسسة دارنا

مطبعة

كتب المؤلف

مكتبة

## ١ - دراسات :

- |      |                    |   |                        |
|------|--------------------|---|------------------------|
| ١ -  | وحدى مع الآخرين    | : | الطبعة الثانية         |
| ٢ -  | عذاب كل يوم        | : | الطبعة الثانية         |
| ٣ -  | طريق العذاب        | : | الطبعة الرابعة         |
| ٤ -  | مع الآخرين         | : | الطبعة الثالثة         |
| ٥ -  | الوجودية           | : | الطبعة الثانية         |
| ٦ -  | يسقط الحائط الرابع | : | الطبعة الرابعة         |
| ٧ -  | كرسى على الشمال    | : | الطبعة الثانية         |
| ٨ -  | ساعات بلا عقارب    | : | الطبعة الثالثة         |
| ٩ -  | قالوا              | : | الطبعة السادسة         |
| ١٠ - | وداعا أيها الملل   | : | الطبعة الرابعة         |
| ١١ - | ألوان من الحب      | : | الطبعة الثالثة         |
| ١٢ - | مدرسة الحب         | : | الطبعة الثالثة         |
| ١٣ - | من نفسى            | : | الطبعة الثالثة         |
| ١٤ - | شارع التهنيدات     | : |                        |
| ١٥ - | الخبز والقبيلات    | : | الطبعة الثالثة ← مكتبة |
| ١٦ - | الحائط والدموع     | : | الطبعة الخامسة         |

- ١٧- الذين هبطوا من السماء : الطبعة السادسة
- ١٨- يوم يوم : الطبعة الثالثة
- ١٩- يا من كنت حبيبي : الطبعة الثالثة
- ٢٠- من أول نظرة : الطبعة الثالثة
- ٢١- وكانت الصحة هي الثمن : الطبعة الثانية
- ٢٢- أرواح وأشباح : الطبعة الثالثة
- ٢٣- الذين عادوا إلى السماء : الطبعة الثانية
- ٢٤- قلوب صغيرة : الطبعة الثالثة
- ٢٥- شيء من الفكر : الطبعة الثالثة

## ٢ - قصص

- ٢٦- بقايا كل شيء : الطبعة الثالثة
- ٢٧- عزيزي فلان : الطبعة الثالثة
- ٢٨- هي . . وغيرها : الطبعة الثالثة

## ٣ - رحلات

- ٢٩- حول العالم في ٢٠٠ يوم : الطبعة الثالثة عشرة
- ٣٠- اليمن . . ذلك المجهول : الطبعة الثانية
- ٣١- بلاد الله . . خلق الله : الطبعة الثالثة
- ٣٢- أطيب تحياتي من موسكو : الطبعة الثانية
- ٣٣- أعجب الرحلات في التاريخ : الطبعة الثالثة
- ٣٤- غريب في بلاد غريبة
- ٣٥- لعنة الفراغة : الطبعة الثانية
- ٣٦- أوراق على شجر

#### ٤ - مسرحيات

- ٣٧ - الأحياء المجاورة !
- ٣٨ - حلمك . . يا شيخ علام
- ٣٩ - مين قتل مين ؟
- ٤٠ - جمعية كل واشكر !
- ٤١ - كلام لك يا جارة

#### ٥ - مترجمات

- ٤٢ - الإمبراطور جونزأونيل : (ديرنمات)
- ٤٣ - رومولوس العظيم : (ديرنمات)
- ٤٤ - هبط الملك في بابل : (ماكس فريش)
- ٤٥ - أمير الأراضي البور : (تسي وليامز)
- ٤٦ - فوق الكهف : (أرثر ميلر)
- ٤٧ - بعد السقوط : (أربع مسرحيات) - لديرنمات
- ٤٨ - هي . . وعشاقها : (ديرنمات)
- ٤٩ - الشهاب : (جيردو)
- ٥٠ - سواد عينيها

بالمكتبة اه كذا

لزيه نصر

وهذا الكتاب

شم ٥٠ ومري يا كجزو لعتلا